الفصل الخامس

الفن القصصى والأدبى

- القصة ما هى ؟
- العرب والقصة .
- القصة فى القرآن الكريم .
- طريق الفن القصصى الإسلامى .
- مفهوم الأدب الإسلامى .
- البطل والقدوة فى العمل الأدبى .
- الأدب المرفوض .
- الأدب واللغة .
- الأدب الإسلامى وأثره فى الأدب الغربى .

obeikandl.com

obeikandl.com

القصة ما هى ؟!

ورد فى لسان العرب تحت مادة « قصص » دلالات لفظية، منها : أن القاصّ: الذى يأتى بالقصة على وجهها ، كأنه يتتبع معاينها وألفاظها، كما وردت فى معانى مختلفة، منها أن القصة: الخبر، وهو القصص، وقصَّ على خبره يقصه قصًا وقصصًا، والقَصص: الخبر المقصوص بالفتح وضع موضع المصدر فغلب عليه ، والقِصص بالكسر: جمع القصة التى تكتب، والقصة: الأمر والحديث[1] .

والدلالات اللغوية حول مادة « قص » تعنى التتبع والاقتفاء ، وهو معنى ملحوظ فى القصة التى هى الجملة من الكلام المقصوص، والقصة تكتسب هذا الاسم من معنى فعل القاص حين يقص الخبر، فهو يأتى بالقصة على وجهها ، كأنه يتتبع معانيها وألفاظها، ويتقفى أحداثها ، وكأنما القاص فى ذلك يحاكى قصاص الأثر وهو يتتبع آثار الأقدام على الأرض ليصل إلى نهايتها ، وهى صلة تنطبق على المعنى اللغوى للفظ «قصة» ؛ وذلك حين يقوم القاص بتتبع الحدث من البداية حتى النهاية مرورًا بالوسط.

وقد ورد لفظ «قصة» المشتق من «قص» كثيرًا فى ميادين الأدب والحياة، كما جاء فى القرآن الكريم باشتقاقاته الفعلية والاسمية ، وأصل القصص العربية كما يقول أبو هلال العسكرى: هو اتباع الشىء الشىء ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾ [القصص: ١١] ، وسُمى الخبر الطويل قصصًا ؛ لأنه يتبع بعضه بعضًا فيطول، وإذا استطال السامع الحديث ، قال: هذا قصص.

والقصة الفنية نوع من الأدب الجميل، له جماله الخاص، وفيه متعته المتميزة، والقصة لها عالمها الواسع العريض، الزاخر بالأحداث والأشخاص والتغييرات والصراعات بين القيم، الخير والشر، الجمال والقبح ، الصلاح والفساد، والجدل المشتجر بين المعتقد الدينى والتقليد الوثنى، وبين الأشخاص، الرجل والمرأة، الطاغية والمصلح، المحب والكاره، الصادق والمنافق، الحاكم والمحكوم، عالم تحتشد فيه الرؤى والأفكار والعوالم السحرية التى تأخذ بالألباب، وهو فن يشغف به الصغار والكبار على السواء، ويصبح له

---

(١) ابن منظور : مرجع سابق ، مادة « قصص » .

التأثير المؤكد على المتلقى إذا أجيد تأليفه ، وأجيدت وسائطه وأساليبه ، وأحسن تلقيه، والقصة فى مجاليها ؛ المقروء والمسموع لها من التأثير بحيث تساعد على التحول فى الشخصية، أو الإيمان بقيم أخلاقية جديدة ، أو التخلى عن عادات مرذولة لا تتلاءم والفطرة البشرية السوية [1].

ويحدد الأستاذ سيد قطب [2] ماهية القصة أنها :«التعبير عن الحياة بتفصيلاتها وجزئياتها كما تمر فى الزمن، ممثلة فى الحوادث الخارجية والمشاعر الداخلية، بفارق واحد، ، هو أن الحياة لا تبدأ من نقطة معينة، ولا تنتهى إلى نقطة معينة، ولا يمكن فرز لحظة منها تبتدئ فيها حادثة بكل ملابساتها عن اللحظة التى قبلها، ولا تقف هى عند لحظة ما لتضع خاتمة لهذه الحادثة بكل ملابساتها، أما القصة ، فتبدأ وتنتهى فى حدود زمنية معينة، وتتناول حادثة أو طائفة من الحوادث بين دفتى هذه الحدود .

والحياة تتداخل فيها الأسباب والمسببات، وتتوالى فيها الحوادث والأحداث منذ الأزل إلى الأبد ؛ لغاية غير معلومة للإنسان ، غاية بعيدة فى مجاهيل الأبد، وكل حادثة هى جزء من حادثة أخرى أكبر منها، وكل غاية هى وسيلة لغاية أشمل ، فتتبع سياقها كما هى لا ينتهى إلى غاية معينة نبصرها فى جيل أو عدة أجيال ، ولكن القصة اختيار وتنسيق، اختيار لحادثة أو عدة حوادث، تبدأ وتنتهى فى زمن محدود، وتصور غاية معينة لتؤدى إلى تصوير هذه الغاية، فليست مجرد تسجيل لخط سير الزمن والحوادث بلا بدء ولا انتهاء، ولا لتسجيل خواطر وانفعالات بلا ترتيب ولا تنسيق .

هى أشبه بالصورة الشمسية تلتقط لحظة خاصة من سلسلة اللحظات الزمنية والحسية والشعورية للإنسان أو للأشياء، وتفرزها عن سائر اللحظات الدائبة السير والتحول، كذلك تصنع القصة ، وهى تصور فترة من الحياة بأحداثها ووقائعها ذات بدء ونهاية، ثم تزيد فتنسق جزئيات هذه الفترة بحيث تكون لها خاتمة.

والقصة ليست هى مجرد الحوادث أو الشخصيات، إنما هى قبل ذلك الأسلوب الفنى، أو طريقة العرض التى ترتب الحوادث فى مواضعها، وتحرك الشخصيات فى مجالها، بحيث يشعر القارئ أن هذه حياة حقيقية تجرى، وحوادث حقيقية تقع، وشخصيات

---

(١) محمد قطب عبد العال: مرجع سابق ، ١/ ٢٥.

(٢) سيد قطب: النقد الأدبى ، أصوله ومناهجه ، دار الشروق ، ص ٧٣ ، ٧٥ بتصرف.

حقيقية تعيش ».

فالقصة تصور لك الحياة، تعرض لك الأشخاص وحركاتهم وأخلاقهم وأفكارهم واتجاهات نفوسهم، تعرضهم عليك بعرض أعمالهم وتصرفاتهم وحوارهم، فإذا رأيت ذلك ومضيت مع الحوار والنقاش عرفت ما يستكن فى النفوس من طباع، وما يهجس فيها من خواطر ، وانشرح صدرك لأهل الخير منهم ، وضقت ذرعا بذوى النفوس المظلمة، كأنك تراهم رأى العين [1].

(١) البهى الخولى: تذكرة الدعاة ، ص ٢ ، ٣ بتصرف.

obeikandl.com

العرب والقصة

يعد اللون القصصى من الألوان التعبيرية القادرة على التعبير بشكل مؤثر وفعال ، والتراث الأدبى العربى ملىء بالنصوص القصصية المبدعة التى تثبت أن العرب يمتلكون موهبة القص والحكى، مثلهم فى ذلك مثل الأجناس البشرية الأخرى.

وقد عرف العرب القصة من زمان طويل، والأدب العربى حافل بكثير من الأنواع القصصية الدالة على أن العرب ـ لغيرهم من الأجناس البشرية ـ ذوو فطرة خلاقة، وخيال مبتكر، يدفع إلى التأثر والإبداع والابتكار.

والإنسان العربى كغيره من البشر خاض الصراع ، ومع الصراع تحدث القصص وتتحقق المآسى وتحل النكبات، بل إن الصراع بين القبائل العربية فى الجاهلية ، أكثر هولاً مما نقرؤه فى أدب الإغريق من ملاحم وبطولات ومآس، فلقد دامت الحروب فى العصر الجاهلى أكثر من أربعين عاماً ، كحرب البسوس، ولاشك أن وراء ووسط وخلال هذه الحروب قصص وحكايات تروى وتحكى، وكان ذلك مدعاة لظهور شخصية «درامية» كذات الشخصية التى نجدها فى المسرح الإغريقى ، وهى شخصية «الراوى» الذى يعيد سرد الحكاية، فى أسلوب أخاذ شيق، بل إننا نستطيع أن نطلق على عصر ما قبل التدوين «عصر الرواة» فى مجالات الرواية المختلفة ، دينًا وشعرًا ونثرًا وقصصًا.

ولا يفوتنا فى هذه الجزئية أن نورد عبارة للكاتب الأديب القصصى محمود تيمور، يبرهن فيها بالدلالة اللفظية، والمعنى اللغوى على معرفة العرب القصة والحكاية .

وحديث محمود تيمور فى هذا المجال له دلالة خاصة، فهو أحد رواد القصة فى الأدب العربى الحديث، وله إسهامات فى الرواية والقصة القصيرة ما يجعله رائدًا بحق، وتضيف إلى رأيه النقدى حرفة الصانع الأدبى، وذوق المبدع العربى، دون تعصب أو افتئات، فالكاتب يرى : أن الأمة العربية كغيرها من الأمم ـ وليست كما ادعى المستشرق «أرنست رينان» من خلو الأمة العربية من الخيال الابتكارى ـ لها صياغاتها التعبيرية الخاصة وقوالبها الأدبية المميزة، والذى منها الجانب القصصى المميز ، فنحن الذين قلنا من غابر الدهر و« قال الراوى» و« يُحكى أن» و «زعموا أن» و « كان

ما كان»، إلى آخر تلك الفواتح التى يمهد بها القصاص العربى ـ فى مختلف العصور ـ لما يسرد من أقاصيص »[1].

ونظرة واحدة إلى ألفاظ اللغة،توضح لنا وجود الفن القصصى كأحد وسائل التعبير ،وكأحد أنماط تتبع الخيوط الروائية والحكائية،فوجود كلمة« حكاية » ،تدل على أن ثمة شيئًا قد وقع ، وبدأ الراوى يحكيه ، أو يحاكيه ، أويضاهيه ، أو يماثله ، أو يحكى عنه ، وكلها دلالات تتفرع وتصب فى نفس المصطلح «حكاية» ، فهو مصطلح لغوى لم يوجد عبثًا،أو لمجرد اشتقاق لفظى،وإنما هو دلالة مؤكدة على الوجود المحقق لها[2].

(١) محمود تيمور :الجامعة العربية ، ١٩٥٨م ، ص ٢٤.

(٢) محمد قطب عبد العال : مرجع سابق ، ١/ ١٥ .

obeikandl.com

القصة فى القرآن الكريم [1]

القصة فى القرآن الكريم على جانب كبير من الأهمية، فهى قالب تربوى وإعلامى تنفذ من خلاله الدعوة إلى القلوب فتهزها، وإلى النفوس فتنفضها، وهى تحتشد بعوالم زاخرة ، وحيوات متغيرة ، وأشخاص متنوعة ، وصراع يدور بين خير وشر، وعدل وظلم فتثير فى النفس العواطف وتجذب القلوب ، وتهيئ العقول إلى التلقى فالفعل.

وإذا كانت القصة فى القرآن تنطلق من منطلق دينى وعقائدى ، فإنها قد وفت بمتطلبات الفن القصصى وتضمنت خصائصه وعناصره وأنواعه وأهم ملامحه ، ولكن ذلك جاء وفق المنهج القرآنى فى إيراد القصص ، فى حلقاته ومواقفه وملاءمته مع موضوعات القرآن.

فالقصة القرآنية تتوزع على سور القرآن الكريم ، توزعًا يربط القصة أو الجزء منها بالغرض الدينى، وهذا الربط متناسق مع الموقف السياقى للقصة، فالقصة القرآنية ليست عملاً مستقلاً بذاته، وإنما هى إحدى وسائل القرآن لتقديم العقيدة، ومن ثم فهى أداة تعبيرية ، تمتزج امتزاجًا عضويًا بين الغرض الدينى والغرض الفنى.

وقد جاءت القصة القرآنية فى أنواعها وتنوعها لترصد فى صور مجسمة تلك المعركة الأبدية بين الخير وقادته، والشر وأهله ؛ سواء جاءت على هيئة المثل ، أو فى نسق تاريخى، أو عبرت عن الجانب النفسى فى الإنسان ، أو وشت بجوانب تعليمية تصقل العقل وتفتح الإدراك ، أو سيقت لهدف العبرة والعظة، فهى فى كل هذه الأنواع أداة راصدة لحركة الفعل البشرى بين حركتين، حركة الإيمان وحركة الكفر، كما أن طرائق التنوع فى الشكل القصصى من إبراز المشاهد الحسية، ومن إجمال وتفصيل، وبسط وإيجاز ، وطول فى القصص وقصر، وطريقة التعامل مع القصة من حيث زمن البدء وتناميه مع موضوع السورة والسياق ، وإبراز الخوارق والمفاجآت فى الإطار التعبيرى الموحد ، فضلاً عن الإثارة والتشويق والرمز ، وغير ذلك من ألوان التنوع ، بسطته القصة القرآنية فى مجاله الموضوعى والدينى ؛ ليتضافر ذلك كله فى وحدة فنية كاملة

(١) مستخلصة من المرجع السابق بحزئيه من مواضع مختلفة.

تفى بالغرض الدينى والفنى معًا.

وقد شاع استعمال كلمة القصة ومشتقاتها فى القرآن الكريم، الذى جاء معجزًا فى اللفظ والمعنى ،والتعبير والصورة،وقد وردت القصة القرآنية للإعجاز التعبيرى أيضًا وجاءت لترد على أنواع القصص الجاهلى،ولترسم النمط الصحيح للقصة الإسلامية التى يجب أن تسود المجالات الإبداعية،حتى تصير معلمًا من معالم الأدب الإسلامى.

وقد جاء وصف القرآن للقصة القرآنية بأنها أحسن القصص : ﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ** ﴾ [يوسف:٣].

والقصة عامة تلعب دورًا خطيرًا فى صياغة الإنسان ،فهى تستطيع وهى تنهل من الدين الإسلامى وتعترف من ينابيعه الثَّرة،فضلاً عن تأسّيها بالقصة القرآنية والنبوية ، أن ترسى قواعد منهجية ثابتة تدعو وتدعم وتساهم فى تربية الروح والعقل والوجدان ، وتنزع من النفس سخائمها وإحباطاتها وحيرتها عن طريق ضرب النماذج السوية من البشر،وهذا دليل واضح ومؤكد على أن الإسلام يدرك تمام الإدراك الميل الفطرى للإنسان ،فيستخدم القصة فى الدعوة والتربية،ولكنه وهو يستخدم القصة يضع النموذج الأمثل،فيراعى فى الصياغة أن تكون متلائمة مع الغرض الذى وردت من أجله،فالقصة القرآنية قصة ملتزمة بالدين والتوحيد أساسًا ،وهو منطلقها،وهو نهايتها أيضًا ، إنها قصة دائرية ، يصبح مفتتح القصة هوقفلها ونهايتها .

فليس غريبًا على القصة ـ كوسيط مؤثر ـ أن تحظى بهذه المكانة العالية فى القرآن الكريم ، فلا تكاد تخلو سورة من قصة ، أو إشارة إلى قصة،أو إبراز جزء من قصة ، أو تسجيل هدف سريع لقصة سريعة ، ولم يكن الأمر فى القرآن ناتجًا لمجرد السرد القصصى ، وإنما لما تستطيع القصة أن تؤثر به كمنهج تربوى يصوغ المسلم صياغة دينية أخلاقية كاملة.

وكان طبيعيًا خضوع القصة القرآنية للأغراض الدينية،فليس القرآن كتاب قصص،وإنما هو كتاب تربية وتوجيه،ولكن مراعاة القواعد الفنية فيه تجعل القصة مع خضوعها للغرض الدينى طليقة من الوجهة الفنية،ويجعل استخدام القصص للتربية جزءًا من منهج التربية الإسلامية ،فقصص القرآن لم تأت مجرد حكايات يُتسلى بها،وإنما يسوقها لإيضاح مبدأ،وللدعوة إلى فكرة،وللنهى عن منكر،وقد جرت العادة

فى القصة القرآنية أنها إذا حكت أمرًا لا يقره القرآن جا ت بما يدفع الوهم وينفى الاحتمال .

فالقرآن الكريم يستخدم القصة لجميع أنواع التربية والتوجيه ، التربية بالقدوة ، والتربية بالموعظة ، فهى سجل حافل لجميع التوجيهات ، وهى كذلك ـ على قلة الألفاظ المستخدمة ـ حافلة بكل أنواع التعبير الفنى ومشخصاته، من حوار، إلى سرد، إلى تنغيم ، إلى دقة فى رسم الملامح، إلى اختيار دقيق للحظة الحاسمة فى القصة ، وهى وسائل القصة القرآنية ووسائطها الفعالة فى التربية والتأثير والجذب والتشويق ؛ لتوجيه القلب والنفس والمشاعر والوجدان ، إلى العبرة والمقصد الدينى، والغرض الذى ضربت من أجله .

أهداف القصص القرآنى :

لقد تعددت أغراض القصص القرآنى تعددًا يفى بجميع حالات العقيدة والإعلام عنها، وترسيخ أصولها ، وتلك الأغراض من الوفرة والتعدد بحيث لا تخلو منها قصة واحدة ، بل قد تتضمن القصة عددًا ضخمًا من الأغراض الدينية ، مثل إثبات الوحى والوحدانية، ووحدة الأديان وغيرها .

ولا يصح أن تُحكَّم مقاييس الفن القصصى فى الأدب البشرى بصورة آلية مطلقة على ما جاء فى القرآن الكريم ، « فهو ليس كتاب أدب ، وقد ابتدع فيه الخالق منطقه كما ابتدع فنه ، والقصص القرآنى قصص دينى قبل كل شىء ، فلا يمكن النظر إليه من زاوية أدبية صرفة ، وقد جاء لخدمة أغراض متنوعة ، فلا يمكن تفسيره بالاعتماد على نظرية واحدة » (١).

وقد استعرض الأستاذ محمد قطب عبد العال (٢) بعضًا من هذه الأغراض الدينية الكثيرة التى وردت بالقصة القرآنية :

أولاً : العبرة :

﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً للعالمين (١١١)** ﴾ [يوسف] ، فالقصص القرآنى فيه العبرة والمثلات لمن عصوا أمر ربهم ، وفيه ما نزل بالأقوياء الذين غرهم الغرور ،

(١) د. التهامى نقرة : سيكولوجية القصة فى القرآن ، ص ١٧٠ .

(٢) محمد قطب عبد العال : مرجع سابق ، ١/ ٥٠ ـ ١١٢ بتصرف شديد.

والجبابرة الذين طغوا فى البلاد وأكثروا فيها الفساد ، والله من ورائهم محيط .

وها هو القرآن يصور قصة تحطيم الأصنام ، التى عجزت عن دفع الأذى عنها ، لعل الكفار يعتبرون ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٥٤) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (٥٥) قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٥٦) وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (٥٧) فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٥٨) قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (٦٠) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (٦١) قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ (٦٣) فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤)﴾ [الأنبياء] .

تسجل الآيات اعتراض إبراهيم على عبادة قومه الأصنام ، وأبرزت الحوار بين إبراهيم وقومه ، وكانت أداته تتراوح بين «قال» و«قالوا» ، فبيّن إبراهيم أن الله هو المستحق للعبادة بالدليل البرهانى ، الذى يستثير الذهن وكوامن العقل ، ودبر أمر تحطيم الأصنام، فحطمها إلا كبيرهم فأثبت عجزها بالدليل القاطع والبرهان الساطع، و تلك قمة السخرية ازدراءً بالأصنام واحتقارًا للعقول الضالة ، وهنا يستشيط القوم غضبًا، ويصل الانفعال بهم إلى مداه ، ويصروا على محاكمته ،وتنهمر الأسئلة، و يواجههم إبراهيم فى ثقة المؤمن بربه ، ويتوالى الحوار إلى أن يقرروا حرق إبراهيم ، ولكن الله ينجيه من مكرهم.

والعبرة هنا أن الله هو المعبود لذاته،وأنه المنفرد بالوحدانية ، وأنه وحده الذى يضر وينفع ، وأن الأصنام حجارة اتخذها الضالون من دون الله لجلب النفع ودفع الضر ، وكانوا فى ذلك واهمين : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [الأنبياء: ١٨]

ثانيًا : التوحيد :

نلمس البراهين على التوحيد من خلال السياق القصصى ، وسوق الأدلة على التوحيد فى سياق القصة يجعله يسرى إلى النفس من غير مقاومة.

والقصة كما تتضمن العبرة ، تتضمن كذلك الدعوة إلى التوحيد ، فليس هناك انفصال بين الأغراض الدينية ، بل هى كلها تجتمع أو تفترق حسب المراد والغاية، فكما رأينا فى الجزئية السابقة ، والخاصة بالعبرة ، ما فعله إبراهيم بالأصنام لعل ذلك يكون عبرة للكفار ، فقد تضمنت الآيات الدعوة إلى وحدانية الله وسُوق الأدلة على ذلك ، فليس فى الأغراض الدينية انفصال ، فهو حين حطم الأصنام جذاذاً بين عجزها، ودعا لعبادة الواحد الأحد الفرد الصمد ، وهو جل وعلا الذى أنجاه من مكيدتهم فجعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم.

والقصص القرآنى وهو يثبت استحقاق الله للعبودية،وتنقى بطلان عبادة الأوثان، يؤكد على إثبات الوحدانية أمام الذين يتخذون الأشخاص آلهة،مثلما يدَّعون دعون ألوهية المسيح، ﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧٤) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٧٥)** ﴾ [المائدة].

ولقد وضحت القصة الفرية التى افتراها بنو إسرائيل على عيسى عليه السلام ، فنفت الدعوى من أصلها وبينت أن المسيح لا يدعيها ، وإنما كان الداعية إلى التوحيد ، والنافى للشرك ، وأن المسيح مخلوق كسائر الناس، وأن الله رب الناس أجمعين كما هو ربه، وجاءت القصة بالدليل القاطع الذى لا يحتمل الشك أو التأويل ،فبين أن عيسى وأمه ليسا إلا شخصين يعيشان كما يعيش الناس ، ويأكلان كما يأكلون ، ولقد أدانت الآية ادعاء التثليث ، وأكدت على وحدانية الله ، واحداً فرداً صمداً ، لم يلد ولم يولد.

ثالثًا: تأييد الرسول ﷺ وتسليته وإيناسه :

القصص القرآنى فيه إيناس صاحب الرسالة المحمدية بأخبار إخوانه الرسل الكرام،قال تعالى ـ وهو يذكر قصة مريم ويؤكد على تلقى الرسول ليثبت فؤاده: ﴿ **وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٤٤)** ﴾ [آل عمران] ، وفى قصة موسى : ﴿ **وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٦)** ﴾ [القصص].

والغرض الدينى الذى تبرزه القصة القرآنية يتضمن أن الله ينصر رسله فى نهاية الصراع،ويهلك المكذبين الضالين،وفى ذلك تأييد للرسول وتثبيت له؛ولهذا جاءت

قصص الأنبياء ـ مجتمعة ومتفرقة ـ مختومة بمصارع المكذبين: ﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠] ،وقال تعالى ـ محدثا عما حدث الرسل: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (١٤) فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٥)﴾ [العنكبوت]،وقال تعالى ـ فى قصة قوم لوط: ﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٣٤)﴾ [العنكبوت].

وهكذا يقف الله تعالى مع أنبيائه ورسله يؤازرهم وينصرهم ، وينزل غضبه بالمكذبين الجاحدين ، إن الحق والخير ينتصران ولو طال أمد الشر.

رابعًا:الدعوة إلى الخير وحُسن المعاملة والعفة:

جاءت القصة القرآنية لترسم نموذج المعاملة الطيبة الذى يجب أن يتحلى به المسلم،فبينت أن دعوة الأنبياء دعوة إلى الخير وحسن التعامل وتهذيب الأخلاق وعمارة الأرض،وإذا وردت هذه القيم الأخلاقية كلها ضمن قصة ،تغلغلت فى النفس وتمكنت منها ، وفى قصة «شعيب» مع قومه نموذج لذلك: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٨٥) وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (٨٦)﴾ [الأعراف].

لقد تضمنت القصة حوارًا يدور بين النبى الداعية وقومه حول التوحيد ، ثم أنواع من الخير ؛ كإيفاء الناس حقوقهم، والأمانة،وعدم الجلوس فى الطرق لتخويف المؤمنين، ولم ييأس شعيب من قومه،فكرر الدعوة ولكنهم أصروا على الشر فحق عليهم العذاب: ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (٨٧) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٨)﴾ [هود].

وفى هذه الآيات ضرْب المثل بالقدوة ، ففى مجال النصيحة وحسن المعاملة تصبح القدوة مفتاحًا إلى القلوب المغلقة ، والنفوس المطموسة ، ومن ثم وضَّح شعيب لقومه أنه لا يُعقل أن ينهاهم عن شىء ويرتكبه ، وإنما هو يأمرهم بما يأمر به نفسه ، وهو حين

يأمرهم بالتوحيد وبترك البخس فى أموالهم وموازينهم ، إنما يريد إصلاح أمرهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، ثم حذرهم من العذاب ، وضرب لهم النماذج من الأمم السابقة الذين حق عليهم العذاب ، كقوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ (٨٩)﴾ [هود] ، وتمادى القوم فى فسادهم وضلالهم ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩٤)﴾ [هود] وهكذا أخذت صيحة العذاب القوم لبعدهم عن الدين والمعاملة الطيبة.

خامسًا: أصل الدين واحد ووسائل الدعوة واحدة:

من أغراض القصة القرآنية بيان الأصل المشترك بين الإسلام الخاتم وبين الأديان جميعًا ، قال تعالى :﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ(٢٥)﴾ [الأنبياء] ، وكل قصص الأنبياء تدل على أن دعوتهم واحدة،وقد أبرزت القصة القرآنية أن وسائل الأنبياء فى الدعوة واحدة ،وأن استقبال أقوامهم لهذه الدعوة متشابه ،فضلاً عن أن الدين من عند إله واحد ،وأنه قائم على أساس واحد ؛ولذلك كانت ترد قصص كثير من الأنبياء مكررة فيها طريقة الدعوة.

سادسًا: الحث على العدل والبعد عن الهوى :

أبرزت القصة القرآنية أهمية العدل فى سياسة الأمم والناس ، ووصف الله نفسه بـ«الحكم العدل» ، وأكدت القصص أن المقياس الحقيقى للحكم العادل هو إدراك الحق، وألا يكون للهوى سلطان فى الحكم.

وحين تورد القصة هذا اللون من السلوك ، يكون له تأثير قوى فى المتلقى والمشاهد لمجريات التقاضى والمحاكمة،فيضحى واعيًا تمامًا بكل حركة وحكم وإشارة ، وعينه مصوبة ، وسمعه مشدود، مما يكون للانفعال أثره القوى فى النفس ، وفى قصة «داود» نموذج لذلك: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (٢١) إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ (٢٢) إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (٢٣) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ (٢٥) يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ(٢٦) ﴾ [ص].

والقصة تتضمن ثلاثة أمور ،تنبه إلى أمثل الطرق للعدل فى الأحكام:

١ـ أنه سبق إلى الحكم دون أن يستمع إلى الخصم ، وقد يكون ذلك مدعاة للظلم.

٢ـ لم يكتف بالحكم فى القضية المعروضة ، ذات الظروف الخاصة والملابسات المحددة ، بل عمَّم الحكم ، والقضاء يكون فى القضية المدروسة فقط: ﴿ **وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ** ﴾ [ص: ٢٤] .

٣ـ الحكم العادل لا يكون بالهوى والشهوة ، والحكم الظالم هو ما يقع تحت سلطان ذلك.

فإذا نهى الله نبيه داود عن ذلك ، فإنما ينهاه عن الهوى ، وهو الذى يفسد الحكم.

سابعًا : تقويم المشاعر الإنسانية وتعديلها:

بسط القرآن الكريم الحديث عن النفس ، وبين أن عمل الإنسان من خير أو شر يرجع إليها ، وإليها يكون الثواب والعقاب ، وقسَّم النفس إلى ثلاثة أقسام:

النفس المطمئنة : وهى التى تؤمن بالله وتستحضره فى كل موقف ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨)** ﴾ [الرعد].

والنفس الأمارة :هى النوع الثانى المقابل للنفس المطمئنة ، فهى نزاعة للشر ، داعية للحرمات ، ومع ذلك فإن لها علاجها وتطبيبها من دائها ،وذلك بذكر الله والرجوع إليه ﴿ **وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥٣)** ﴾ [يوسف].

والنفس اللوامة:هى التى تلوم صاحبها على ما فرط فيه بما لا يرضى ربه: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ (٢٠٠)** ﴾ [الأعراف] .

وقد عالجت القصة القرآنية شرور النفس الإنسانية ومسالكها المريضة حتى تضرب المثل ، وتوضح مجالات الصراع المشتجر بالنفس الإنسانية بين الخير والشر ، ولنذكر هنا قصة قابيل وهابيل ولدى آدم نموذجًا فذًا على حدة الصراع بين قوتى الخير والشر ،أو بين النفس المطمئنة والنفس الأمارة بالسوء: ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ(٢٧) لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ(٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ**

أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (٣١)﴾ [المائدة].

وهذه القصة تبين بالدليل أن الغَيرة والحسد فى النفس المريضة يؤديان للعداوة ، ولا علاج للحسد ـ وهو يحدث بين الإخوة كما حدث هنا وفى قصة يوسف، وهو مرض دفين ـ إلا بالمواجهة والبتر ؛ ذلك لأن الهدف هو صلاح الجماعة، وصلاح النفوس.

ثامنًا:التضحية من أجل العقيدة :

أورد القرآن الكريم الكثير من مواقف التضحية فى سبيل العقيدة ،وضرب لنا نماذج إنسانية فى الاتصاف بقوة العقيدة ،والدفاع عنها،والاستشهاد من أجلها،ومن ذلك قصة أصحاب الأخدود: ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣) قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩) إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (١١) ﴾ [البروج].

وقد جاء فى الحديث الشريف تفصيل هذه القصة التى جاءت موجزة هنا ، كأنما هى لمحة خاطفة جاءت لإبراز الغرض ، ومضت وقد أبقت تأثيرها فى النفوس.

إن قصة أصحاب الأخدود ، علاوة على أنها نموذج للتضحية بالنفس من أجل العقيدة ، فهى أيضًا وعيد للكافرين وتسلية للمؤمنين ، وتوضح الآيات أن سبب ذلك التحريق البشع هو إيمانهم بالله الواحد الأحد ، وليس الإيمان بالله سببًا أبدًا لاستحقاق العقوبة ، ولكن الطغيان والطاغوت لا يعرفان ذلك، ومن ثم تقرر القصة بأن الله غالب على أمره ، وأنه قادر عزيز ، وأن مصير الكافرين الجبابرة جهنم،ومصير المؤمنين الجنة.

تاسعًا : التعارض بين الحب والواجب :

من الأغراض الدينية العظيمة التى قامت عليها وأبرزتها القصة القرآنية،غرض خاص بعلاقة الآباء والأبناء،أو تعارض مشاعر الأبوة مع واجب البنوة،أو ما يمكن تسميته بلغة العصر حنان الأبوة وتمرد الابن،ولا شك أن موقف نوح من ابنه أثناء الطوفان خير نموذج قصصى للتعبير عن هذا الغرض: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا

قَلِيلٌ(٤٠) وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (٤١) وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (٤٣) وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٤) وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٥) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ (٤٧)﴾ [هود].

وتلك القصة الحوارية بين نوح وابنه، ثم بين نوح وربه ، لتعطى لنا حقيقة الغرض الذى سيقت من أجله ،وهو التعارض بين الحب والواجب، فتحت قوة العاطفة الأبوية نطق نوح بما نطق فنبهه الله إلى الواجب، والله لم ينبه غافلا، ولكنه نبه يقظًا مؤمنًا ضارعًا.

عاشرًا : ذكر النعم وأغراض أخرى :

من الأغراض التى حرصت القصة القرآنية على إبرازها وتجليتها غرض يتحدث عن بيان فضل الله ونعمته على أنبيائه وأصفيائه، ولنأخذ قصة يونس عليه السلام كنموذج ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١٤٠) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (١٤١) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (١٤٢) فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ(١٤٤) فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (١٤٥) وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ (١٤٦) وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧) فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ (١٤٨)﴾ [الصافات].

وقال تعالى: ﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ (٨٨) ﴾ [الأنبياء].

إن القصة تظهر العواطف البشرية إزاء المواقف الصعبة ، كما تبرز النعمة الكبرى التى ينعم به الله على أنبيائه وأصفيائه ، فالله معهم وناصرهم ومؤيدهم ، والقصة وإن أبرزت نعمة الله على خلقه ، فقد قدمت لنا قيمة دينية عظيمة ممثلة فى مبدأ التوبة.

وللقصة القرآنية أغراض أخرى متفرقة لبيان قدرة الله وعظمته فى مجال الخوارق،

كقصة الخلق ، وميلاد عيسى ، وقصة إبراهيم والطير ، والذى مر على قرية ، كما كان من أغراض القصة القرآنية بيان عاقبة الطيبة والصلاح ، وعاقبة الشر والفساد ؛ كقصة صاحب الجنتين ، وقصص بنى إسرائيل ، وكذلك بيان الفارق بين الحكمة الإنسانية القريبة العاجلة ، والحكمة الكونية البعيدة الآجلة ، مثل قصة موسى والعبد الصالح.

كلمة أخيرة :

يتضح مما سبق أن الأغراض التى تناولتها القصة القرآنية من النوع الذى يثير فى السامع أو القارئ على السواء كثيرًا من الانفعالات ويحرك فيه شتى العواطف والمشاعر ،ويجعل الإنسان أكثر ارتباطًا وشوقًا إلى مواصلة القصة ومتابعة أحداثها حتى النهاية ، وذلك لما يتضمنه بناء القصة القرآنية من قوة العرض والسرد ، وجمال الوصف والتصوير وحركة الأشخاص وصراعها فيظل الغرض القصصى عالقًا فى الذهن ومؤثرًا فى النفس.

ولا شك أن الغرض فى القصة كان وراء طريقة بناء القصة وتكرارها وطريقة الأداء الفنى الذى اتخذته القصة القرآنية وسيلة للإبلاغ والتوصيل من تفصيل فى العرض أو إيجاز فيه ، أو اكتفاء بالسرد أو استعمال الحوار أو المزج بينهما ، أو تعقيد الموقف أو تبسيطه ، فضلاً عن تخير المواقف المثيرة بما تتضمنه من مفاجآت وحلول.

فالغرض الذى تبرزه القصة القرآنية بتمثل أمام القارئ أو السامع عبر بسط ، وسرد، وانفراج ، وتعقيد حافل بعناصر الانفعال والجذب الانفعالى ، وهذا مما يعمق هذه الأغراض فى النفوس.

أنواع القصة القرآنية

ساق القرآن الكريم قصصه للعبرة والعظة ، وفى ذلك السياق يتجلى الصراع بين الخير والشر ، وتتضح الوسائل الفاعلة لتغليب الخير ، ولإبراز وحدة الأديان والرسالة الإلهيه ، ولأن القصص أحفل بالأسوة وأعمل فى النفس وأبعث على الطمأنينة ، فقد وردت على أنواع ، تخاطب جوانب النفس البشرية،حيث تقرن العمل بالجزاء ، فتسرى الموعظة الحسنة سريانًا حيًا ، فيتمكن المغزى من القلب وتختلط بمشاعر الوجدان ، وقد ذكر الأستاذ محمد قطب عبد العال[1] من هذه الأنواع مايلى:

١ـ القصة المثل :

المثل نوع من التعبير الأدبى،يبرز المضمون فى صورة حسية،كما يقرب المعنى، ويكشف الحقائق ، ويجمع المعنى الرائع فى عبارة موجزة ، تثبت فى الذهن، وتدفع إلى الإقناع والتأسى،وإلى العظة والعبرة،وتأتى قصة (أصحاب القرية) كنموذج للقصة المثل: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلا يُنقِذُونَ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [يس]

إن القصة المثل خير إطار تعبيرى لتمثيل القضايا الدينية والحقائق العقلية، بتجسيدها فى قالب قصصى محسوس ، بحيث تجعل المتلقى أكثر قدرة على الفهم والاستعياب وتمثّل المعنى الدينى والعبرة الخلقية ، مما يؤكدها فى النفس ويعمقها فى الإحساس.

(١) محمد قطب عبد العال : مرجع سابق ٢/ ١٣ ـ ١٧٩ بتصرف شديد .

٢ـ القصة التاريخية :

القصص القرآنى حافل بالتاريخ ، الذى لايداخله شك أو وهم،وقد أخضع القرآن فى قصص الوقائع التاريخية للحقائق الدينية ، إذ ليس فى مجرى هذه الأحداث ما يحدث مصادفة ، وإنما تأتى وفق السنن التى تساير الإرادة الإلهية فى الثواب والعقاب ، والبقاء والفناء ، وهذا نموذج للقصة التاريخية يتمثل فى أهل مدين: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ (٨٤) وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٨٥) بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ (٨٦) قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (٨٧) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٨) وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ (٨٩) وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ (٩٠) قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ (٩١) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٩٢) وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ (٩٣) وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩٤) كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ (٩٥) ﴾ [هود] .

ويرى الأستاذ العقاد أن قصص القرآن جميعًا تأخذ من التاريخ مافيه الغنى لكل سياق،أو مقصد يعنى به الدين ، فليس المقصود بها تفصيل التواريخ ،ولا تسجيل الوقائع والسنين وليست كلمتها موقوفة على شىء غير ما فيه الكفاية لهذه المقاصد كما يفهمها الناس.

٣ـ القصة التعليمية :

المنزع التعليمى فى القرآن الكريم قائم على إحياء الوثنية شعور عميق فى الإنسان ؛ بما بينه وبين الكون من وشائج وعلاقات سامية ، تترفع عن الوثنية والخضوع لغير الله ،

كما أنه يوقظ فى الإنسان الروح التجريبية والاستقراء ، حيث يوجه الأنبياء والأقوام إلى آيات الله فى الكون ليثير فى القلوب إيمانًا قائمًا على التجريب والمشاهدة.

وفى قصة «موسى والخضر» بيان لما أكرم به الله رسله من رعاية وتدريب وتوجيه وتعليم ، وبما اختصهم به من أمانة وصدق ونزاهة وإخلاص لله والعمل فى سبيله ، وابتعاد عن صفات مذمومة ، كالغرور أو الطمع أو الادعاء بأنه ملك ناصية الأشياء ، وما تضمنته من وقائع وحوار وسرد : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦٠) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦١) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا (٦٢) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣) قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا (٦٤) فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا (٦٥) قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠) فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٣) فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا (٧٤) قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥) قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا (٧٦) فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧) قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا (٧٨) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٧٩) وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (٨١) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا (٨٢)﴾ [الكهف] وقد حفلت هذه القصة بجانب تربوى تعليمى يعد من أمتع قصص القرآن وأروعه.

٤ـ القصة النفسية:

كشفت القصة القرآنية عن الشعور الإنسانى الفطرى الكامن فى النفس البشرية حيث لمست أبرز المشاعر الإنسانية وأنبلها وأرقها ، كما عرَّت النفس البشرية فى عنادها وتهورها ووقوعها تحت سطوة الانفعال اللاسوى ؛ كالحقد والغيرة والبطر والجنس والانتقام والخوف ، والجانب الوجدانى من الإنسان هو بطبيعته أدخل الجوانب فى موضوع الفنون ، وموقف موسى من ابنة شعيب خير مثال للون النظيف من المشاعر ، وتلك القصة حلقة من حلقات موسى عليه السلام ،تسجل لحظة هروبه وخوفه من فرعون ، إنها لحظة البداية إلى الرسالة ، فهو حين قتل المصرى هرب حين علم أنه مطلوب ، واستقر به المقام تجاه مدين عسى أن يهديه الله سواء السبيل، قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (٢٠) فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢١) وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢٢) وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٥) قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (٢٦) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧) قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٢٨)﴾ [القصص].

٥ـ القصة الإشارية الرمزية :

وهذا الجانب الإشارى فى القصة القرآنية ينقسم إلى قسمين: قسم يتخذ الرمز محورًا للقصة؛ كما فى القصص الرمزية التى جاء بها القرآن، أما الجانب الإشارى الآخر فيختص بما وراء الآيات من مواقف قصصية حدثت للمسلمين أنفسهم.

وخير نموذج للنوع الأول، قصة «البقرة» ،ولا شك أن الإشاره كرمز للبقرة ـ التى سميت السورة باسمها ـ يعنى معنى عميقا تدل عليه تلك الإشارة المتكررة: ﴿ وَإِذْ قَالَ

مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٦٧) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (٦٨) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (٦٩) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (٧١) وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣)﴾ [البقرة].

فهذه القصة الرمزية القصيرة ذات دلالات متعددة ؛ فهى تدل على طبيعة بنى إسرائيل ؛ فقلوبهم منقطعة الصلة إلى الإيمان بالغيب، والثقة بالله، وعدم الاستجابة للتكاليف وتلمس الحجج والسخرية المنبعثة من سلاطة اللسان.

أما الجانب الآخر من القصص الإشارى ؛ فهو الذى يشير فى السياق القرآنى للأحداث والوقائع، كالتى جاء بها القرآن العظيم ؛ ليعطى فيها العبرة والعظة أو الحل، أو يكشف عن أصحابها من براءة أو خيانة، وصدق أو كذب، ووفاء أو غدر، وقصة الثلاثة الذين خلفوا تقع فى هذا الجانب الإشارى ، قال تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١١٧) وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١١٨) ﴾ [التوبة].

إن دراسة الإشارات النفسية والدينية فى القصة الإشارية تكشف عن علاقة الشعور الدينى بالعاطفة، وارتباط الجانب العقدى بالنفس؛ لما تتضمنه القصة من إشارات وتجارب متنوعة كان الإنسان محورها، ومن دعوات سماوية تولد عنها صراع طويل بين الحق وأهله ، والباطل وناسه ، وكانت عين القصة تسجل وترصد وتؤازر الحق ﷻ له .

٦ـ قصة اليوم الآخر :

إن الملاحظ فى عرض كثير من مشاهد يوم القيامة فى إطارها القصصى الوصفى أنها تجسد الواقع المغيب فى نسق تعبيرى مصور نحس فيه ونقرأ ونتابع المشهد بالصورة

والحركة والإيقاع والحياة المتلاطمة ، قال تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ (٣) إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا (٤) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنْبَثًّا (٦)﴾ [الواقعة] .

وتصور المشاهد القرآنية لليوم الآخر بعد البعث والنشور؛ تصور النعيم والعذاب ، وهو مصور تصويرًا حسيًا، فيدركها المتلقى إدراكًا واعيًا محسوسًا يكون له النفاذ والتأثير، وسورة الواقعة كغيرها من السور، تعطينا هذا النموذج؛ فثمة نعيم وُعِدَ به المؤمنون الصالحون ؛ نعيم الجنة الممتلئة بالسدر والطلح والظل والماء والفاكهة.

أما أصحاب الشمال ؛ فطعامهم زقوم وشراب حميم ، كلما شربوا ازدادوا عطشًا، إنهم مبتلون بريح حارة ، وماء مغلى ، ودخان شديد السواد.

٧ـ القصة الوعظية :

وتأتى فى السياق القصصى بالقدر الذى يبلغ العظة إلى المتلقين، حتى يتواصل التأثير، والقصة الوعظية نجدها فى قصص أصحاب الأخدود ،وأهل الكهف، وقصة الذى مر على قرية ، وأصحاب الجنتين ؛ وهى قصص تتضمن التضحية فى سبيل الإيمان ، والاستشهاد من أجل اليقين ، كما فى قصتى أصحاب الأخدود والكهف .

وبعد :

لقد تحدثنا فيما سبق عن أنواع القصص القرآنى، على أن هناك تنوعًا لهذا القصص أيضًا ، من حيث طريقة العرض فى السرد القصصى، وإيراد الحدث بما يتضمنه من إجمال وتفصيل ،وخوارق ومفاجآت ، وفجوات تثير الذهن وتحمل الخيال على تجسيد المشهد وتصوره ، فضلاً عن طريقة العرض فى تصوير الموقف والشخصية والحدث ، ورصد الانفعال والشعور.

الخصائص الفنية للقصة القرآنية

لقد وضع القرآن الكريم الأسس الصحيحة لفن الكلمة الجميلة المؤثرة، سواء أجاءت تلك الكلمة في إطار القصة القرآنية ، أو في آيات الأحكام ، أو ضمن السرد المحكم والوصف الدقيق للأحداث والشخصيات والأمثال ،والقواعد العامة، واحتدام الصراع بين مكونات الكون والحياة ،وهذه كلها أمور تفرغ لها كثير من العلماء القدماء والمحدثين، ولا يزال كنز العطاء القرآني عامرًا بالأسرار المعجزة والآيات القاهرة.

وكان من أهم ما تميز به القرآن الكريم فن القصة ، حيث يعد القصص القرآني بحق مدرسة متميزة في الأداء القصصي ، ويذكر الدكتور نجيب الكيلاني[1] رائد الأدب الإسلامي بعض خصائص القصة القرآنية :

١ـ ارتباطها بالحقيقة والواقع التاريخي.

٢ـ أنها أحسن القصص ؛ بأسلوبها ومضمونها وتأثيرها وغايتها.

٣ـ أنها تُقدم للتعليم والعبرة والعظة.

٤ـ تنوع أشكالها ، فقد تكون قصيرة أو طويلة أو بين بين ، وقد يُروى جزء من القصة في مكان ، وتختصر باقي الأجزاء وتفصل في موقع آخر من كتاب الله ، حيث يقضي الموقف ذلك التنوع في الأسلوب أو العرض أو الأداء.

٥ـ الحبكة الدقيقة.

٦ـ الاستنارة أو لحظة التنوير ، قد تأتي في شكل عبرة أو حكمة أو تقرير موجز ؛ لأن القرآن يضع الهدف من القصة فوق الاعتبارات الفنية المصطنعة .

٧ـ البعد عن الغموض ، فالإشباع العقلي والوجداني يكون دون حيرة أو إبهام ، حتى يتبلور التأثير ويمهد السبيل لرحلة جديدة من التفكير والتذكر واتخاذ موقف واضح.

٨ ـ الحرص على استيعاب الأبعاد المختلفة للشخصية ، وخاصة في نطاق الانفعالات النفسية والسلوكية.

٩ـ التركيز أحيانًا على جزئية في القصة لها أهميتها وإيحاءاتها وخطرها على الحدث الكلي للقصة.

---

(١) مجلة الأمة ، عدد (٥٦) ، شعبان ١٤٠٥ هـ ، ص ١٨ .

١٠ـ توظيف الكلمة فى الجملة،أو فى النسق العام توظيفًا فريدًا،فتنطبع فى الذهن، وتفعل فعلها فى النفس ، وتبدو عنصرًا أساسيًا يستحيل أن يتم البناء الفنى بدونها لمن يقرأ أو يسمع.

١١ـ يأتى التكرار كأنه صيغة جديدة تبعث على الاهتمام ، ولا تبعث فى النفس أدنى ملل ، ودون حشو .

١٢ـ شعور الاستمتاع حين تسمع أو تقرأ ، بالنسبة لكافة المستويات الثقافية ومراحل العمر المختلفة.

١٣ـ إعطاء المرأة نصيبها من القصص القرآنى.

١٤ـ التركيز على القضايا الأساسية للإنسان ، مثل :التوحيد ـ العبادة ـ الخير ـ العدل ـ الصدق ـ الجهاد ـ الإيثار ـ الوفاء ـ المحبة ـ العلاقات الإنسانية ـ الصبر ـ الاستقامة. . .إلخ.

إن القصة بالمفهوم القرآنى فن سام ، يستمد سموه من عظم الرسالة التى يبلغها للبشر بأسلوبه الممتع المؤثر ، وتفوق المثل الذى يعرضه ، ولن نستطيع بحق أن نبدع أدبًا إسلاميًا حقيقيًا دون النظر إلى كتاب الله ، والتمعن فى آياته ، والاستيعاب لقصصه ، والتأدب بآدابه ، والتشبع بمنهجه ، ﴿ **وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى** ﴾ [النحل : ٦٠] .

طريق الفن القصصى الإسلامى

على المبدع فى المجال القصصى أن يبدع فى إطار التوجيه القصصى القرآنى ، فعليه أن ينطلق أداؤه القصصى - وهو يصور الحياة والأشخاص والأحداث والصراعات - من منطلق إسلامى، بحيث لا يتصادم العمل القصصى مع المفاهيم القرآنية للمجتمع المسلم.

ويجب أن يكون المبدع بعيدًا عن الوعظ والمباشرة والخطابية، ويستفيد متأثرًا من الجانب الإيحائى والإشارى الذى تلتزم به القصة القرآنية وهى تدعو إلى غرض دينى ، فالقصة القرآنية توحى وتلمح وتشير، ولا تخاطب فتباشر ، فتنفر القارئ.

ومن القيم الفنية التى ترسى مبادئها القصة القرآنية ، قيمتا الجمال والقبح ، فكلتاهما تكونان فى موضعهما تمامًا ، إذا جاءتا عبر نسق جمالى يتوافر فيه التوازن ، وروعة التعبير، ومن ثم يصبح التناول جميلاً وهو يتعامل معهما عبر المشاعر والمواقف والعواطف والسلوك، بحيث يصبح الموقف مشاهدًا ومحسًا بجميع أبعاده، لحظتها تشتاق النفس إلى الجمال وتسعى إليه ، وتميل عن القبح وتنفر منه ، دون الجنوح إلى المباشرة أو الوعظ ، ومن ثم تنطلق أداة التعبير ، وقد تلمست أداة التعبير القرآنية إلى تصوير حياة الإنسان فى شتى حالاته ومتغيراته زمانًا ومكانًا ، وإلى تصوير النفس البشرية فى شتى حالاتها انفعالاً وتقلبًا ، وتصوير القيم الأخلاقية فى تعدد مناحيها ودرجات دلالاتها وهى فى ذلك كله لا تصطدم ولا تتعارض مع النظرة القرآنية إلى الفن والقصة، ولأن للقصة تأثيرًا على الفرد والجماعة ، ولأن للمجتمع تكوينه الخاص وانطلاقاته الخاصة ، ولأن المسلم فى هذا الزمان الصعب معرض لغزوات فكرية وثقافية تستهدف دينه وقيمه ، ولما كانت إحدى هذه الغزوات المدمرة نشر القصص الردىء المدمر للقيم وللذات الإنسانية.

لذلك كله ينبغى صياغة قصص القرآن صياغة جديدة مكتملة بحيث ترتبط أجزاءها المتفرقة فتصبح قصة كاملة ، سواء فى ذلك أن تتناول قصص الأنبياء والمرسلين ، أوقصص المؤمنين المضحين فى سبيل العقيدة ، أو بعض الأمثلة القصصية التى ضربت للتعبير عن قيم معينة ، مثل الحق والخير والجمال ، وذلك فى أسلوب تعبيرى يبلغ درجة عالية فى التشويق والتخييل وتضمين القيم المراد بعثها عبر العمل فى خفة.

ولا يتوقف الأمر عند ذلك ، بل يجب أن نعمل على خلق قصص جديد يتسم

بالأخلاق المبثوثة فى قصص القرآن ، وفى غيرها من آيات القرآن الكريم ، إننا يجب أن نقيم كيانًا أدبيًا كبيرًا وشامخًا على تلك المعانى والقيم التى جاء بها القرآن ، حتى نسير على هديه ، وحتى تصبح لنا خصوصيتنا الفنية ، وعلامتنا المميزة فى عالم القصة ، وكذلك مسرحة القرآن بحيث تؤدى القصة المشاهدة دورها فى التأثير الوقتى السريع ، إننا لو فعلنا ذلك لدعمنا العقيدة فى النفوس ، ولوضعنا على طريق الفن القصصى علامة قرآنية مميزة [1].

(١) محمد قطب عبد العال : مرجع سابق ١/ ١٦٥-١٦٧ بتصرف.

obeikandl.com

مفهوم الأدب الإسلامى

أصبح للفنون الأدبية الحديثة ، القصة بأنواعها ، والمسرحية تأثير كبير فى قطاعات عريضة من الناس ،ويقتضى ذلك حتمًا أن نوجد « منهجًا إسلاميًا عامًا » للتعامل مع هذه المعطيات الجديدة ،وأن نحدد منهجًا إسلاميًا للأدب من حيث مفاهيمه وسماته الأساسية ،ومنطلقاته ومجالاته وأهدافه ، على أن يكون ذلك متفقًا مع ثوابت الإسلام وقيمه ومبادئه.

ومن بين ما يُتهم به الأدب حين يكون منبثقًا عن رؤية إسلامية : أنه قد يضيق بالإبداع وانطلاق الفكر،وقد يجد حرجًا فى عرض بعض المشاكل الاجتماعية،وخاصة تلك المتعلقة بالمرأة وقضاياها ، وعلاقاتها بمن حولها .

وإذا كان ذلك كذلك، فإن الأدب الإسلامى وأدباءه سوف يتقوقعون على أنفسهم ولا يتفاعلون مع المجتمع الذى نعيش فيه،بيد أن الأدب والأديب الإسلامى لا يستطيع الخصام مع الحياة،وما يعتلج على مسرحها من قضايا ومشكلات،فالإسلام كدستور للحياة دين شمولى،والأدب الإسلامى يتسع اتساع هذه الحياة الشاملة.

فلا يمكن أن ينسلخ الأديب المسلم عن المجتمع الذى يعيش فيه،وعلى ذلك فإنه سيتأثر بواقعه ، ويقوم بمعالجته،فالحد الفاصل بين الأدب العظيم ، والأدب التجارى هو أن الأديب العظيم هو الذى يستطيع أن يؤثر فى مجتمعه ويكسب رضاه،دون أن يخضع لإرادة هذا المجتمع،بل ربما استطاع ذلك وهو يقف معارضًا لهذا المجتمع،والأديب التجارى هو الذى يتملق الجماهير،ويترك إرادته تذوب فى إرادتها ، الأول:هو الذى يؤدى دور الأديب الحق الذى يتأثر بمجتمعه ،ثم يحاول التأثير فيه،أما الثانى:فلا يمكن أن يكون عامل دفع فى مجتمعه ؛ لأنه سيترك المجتمع يدور فى نطاق ذاته [1].

ويفصل الدكتور نجيب الكيلانى [2] رائد الأدب الإسلامى القول فى تحديد مفهوم هذا الأدب ، ويؤصل له،فيقول:إن القرآن الكريم ـ الذى يعد منهل الأدب الخالد لأدباء الإسلاميين ـ استخدم القصة والحوار ، والمثل ، والمواقف الخطابية ،ودعا إلى المباهلة، ووظف الحدث التاريخى،واعتمد الجدل الفكرى،وأسلوب المواجهة ، والتقرير المباشر ،

(١) د.عز الدين إسماعيل :الأدب وفنونه ، دار الفكر العربى ، ص٤٠.

(٢) د.نجيب الكيلانى : مرجع سابق ،ص١٤ ـ ٣٦ بتصرف شديد.

والوعظ المؤثر ، فى سبيل تحقيق أغراضه فى هدايه الإنسان ، وتوجيهه صوب الخالق، فالأشكال متسعة متطورة ، بشرط الحفاظ على القيم الثابتة.

ولا يستطيع أحد أن ينكر أن الأديب كان عنصرًا من عناصر الحضارة الإسلامية المتوازنة ، وفق تصورات واضحة صحيحة ،ولم يكن مصادفة أن يكون فقهاء الإسلام وفلاسفته وعلماؤه وقُواده من أكثر الناس ممازسة لفن الأدب ،شعرًا ونثرًا .

والأدب الإسلامى لسان من ألسنة الدعوة الإسلامية،التى تحرص أولاً على القدوة والمثل ، وتهتم بالفعل دون أن تهدر قيمة القول،وقد يختلف البعض معنا فى هذا التصور ـ وهم قلة ـ وردنا على ذلك أن المعجزة الكبرى فى الإسلام هى القرآن ، الكلمة المُنزلة من عند الله فى إطار من الصدق والجمال والإعجاز ،كما أن الدعوة بنص القرآن: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]

إن الأدب بصفة عامة لون من ألوان الفنون ، وهو يضم الشعر ، وأنواع النثر الفنى؛كالقصة والمسرحية والمقالة والخاطرة وترجمة الحياة وغيرها،ورغم اختلاف تعريفات الأدب،إلا أننا نستطيع أن نستخلص منها سمات أساسية للعمل الفنى الأدبى،فهناك «الصورة الفنية» المؤثرة التى تتشكل من عناصر عدة ،أولها اللغة المنتقاة ، حيث تؤدى اللفظة الموحية المؤثرة وظيفة خاصة مميزة،هذه اللفظة لا تقوم بذلك وحدها، ولكن بارتباطها العضوى مع باقى الألفاظ فى نسق معين ،وبما تعكسه من فكرة،وتثيره من خيال ،وبما تحركه من عاطفة ،وتولده من اندماج،فالصورة الفنية تكاد تكون تجربة حية يحدث فيها نوع من التماذج بين الأديب والمتلقى ،ولونًا من الحوار الحار، والتفاعل الخصب.

والأدب الإسلامى ليس مجانبًا للقيم الفنية الجمالية ، فهو يحرص عليها ، بل ينميها ويضيف إبداعاته إليها ،والتراث الجمالى العالمى ملكية شائعة كالدين والعلوم والفلسفة ، لا يحتكرها شعب دون شعب،رغم اختلاف اللغات، وصيغها الفنية،ويبقى دائمًا فى الفنون الأدبية عناصر تكاد تكون لازمة لهذا اللون أو ذاك،فللشعر مثلا موسيقاه ، وإيقاعاته وأخيلته،وللقصة أحداثها وعقدتها وشخصياتها ، ولها بدايتها ونهايتها، وللمسرحية أشراطها الزمانية والمكانية والحوارية وجاذبيتها الدرامية ، وكل هذا ميراث مشترك.

والأدب الإسلامى يحرص أشد الحرص على مضمونه الفكرى النابع من قيم الإسلام العريقة ، ويجعل من ذلك المضمون ومن الشكل الفنى نسيجًا واحدًا،ويعول

على الأثر المترسب لدى المتلقى، ويساهم فى تشكيل مواقفه وحركته الصاعدة أو المتدفقة إلى الأمام.

والأدب الإسلامى يستوعب الحياة بكل ما فيها وفق التصور الإسلامى الصحيح ، لا يزيف حقيقة ،أو يخلق وهمًا فاسدًا، أو يحابى ضلالاً ، أو يزين نفاقًا ،بل يطلق نيرانه على شياطين الانحراف والقهر والظلم، ومن ثم ينهض بعزائم المستضعفين ،وينصر قضايا المظلومين ،ويبشر بالخير والحب والحق والجمال.

والأدب الإسلامى يعبر بصدق وأمانة عن آمال الإنسان الخيرة ، ويتناول نواحى الضعف والتردد والانحراف فيه بتسليط الأضواء عليها لفهمها والشفاء منها ، لا لمجرد تبريرها ،أو التماس الأعذار لها ،وهذا التصور نابع من وصف الخالق للمخلوق: ﴿ **أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** (١٤)﴾ [الملك] ، وهو أمر يجب أن يحفل به الأديب المسلم، بعد أن قدمت الآداب الغربية ـ بل والشرقية أيضًا ـ نماذج شوهاء للإنسان، وجعلت من التشوه بطولة وحرية، وصنعت من التمرد الفاسد تحقيقًا للذات، وإعلاء لشأن المخلوق .

والأدب الإسلامى ليس «عبثيًا» ،فليست الحياة عبثًا ﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ** (١١٥)﴾ [المؤمنون] ،وهذا لا ينفى عن الحياة أنها «متاع الغرور » إنها امتحان وتجربة ،خلقت لغاية، ورسم لها الخالق سننًا وشرائع ونظامًا وقيمًا .

والأدب الإسلامى ليس قواعد جامدة ،أو صيغًا معزولة عن الحياة والواقع ، أو خطبًا وعظية تثقلها النصوص والأحكام ،ولكنه صور جميلة ، تتزين بما يزيدها جمالاً وجلالاً ، ويجعلها أقوى تأثيرًا ،على أن يظل أدبنا فى نطاق القيم الإسلامية الأصلية.

والأدب الإسلامى أدب الضميرالحى، والوجدان السليم، والتصور الصحيح، والخيال البنَّاء، والعواطف المستقيمة، لا ينجرف إلى انحراف نفسى، أو اعتلال شعورى، أو مرض فلسفى تفشت جراثيمه فى الماء والهواء والفنون والأفكار والسلوكيات، وهو أدب الوضوح، لا يجنح إلى إبهام مضلل، أو سوداوية محيرة قاتلة، أو يأس مدمر، فالوضوح هو شاطئ الأمان الذى يأوى إليه الحائرون والتائهون فى بيداء الحياة المحرقة المخيفة.

ويختم الدكتور نجيب الكيلانى مفهومه للأدب الإسلامى بأنه : تعبير فنى جميل مؤثر ،نابع من ذات مؤمنة، مترجم عن الحياة والإنسان والكون، وفق الأسس العقائدية للمسلم، وباعث للمتعة والمنفعة، ومحرك للوجدان والفكر، ومحفز لاتخاذ موقف والقيام بنشاط ما .

البطل والقدوة فى العمل الأدبى [1]

البطل فى العمل الأدبى ـ قصة أو مسرحية أو ملحمة ـ هو تجسيد لمعان معينة، وقد يكون هذا البطل أنموذجًا يحتذى، أو مثالاً سيئًا يولد النفور، وهو فى كلا الحالين ذو تأثير إيجابى قبولاً أو رفضًا، وكلما كانت الشخصية ـ البطل ـ قريبة من الواقع، حافلة بعناصر الإقناع، مكتملة الملامح والسمات، أصبحت أكثر جاذبية وأعمق تأثيرًا.

فما هو التصور بالنسبة للبطل فى الأدب الإسلامى ؟

إننا لن نجد صعوبة تذكر فى وضع التصور الملائم لذلك، فالبطل ـ إسلاميًا ـ هو «القدوة» أو النموذج الذى تتجسد فيه القيم الإسلامية، هذه ناحية هامة، لكنها لاتغلق الباب أمام «نماذج» الضعف البشرى، أو البطولة الناقصة التى تحتاج إلى تجربة ومعاناة، وهى فى طريقها للنمو والاكتمال، وهذا دور هام لابد وأن يحتفى به الأدب الإسلامى، فما أكثر النماذج الشائهة أو الجانحة أو المنحرفة، وهى طبيعة كل مجتمع قديمًا وحديثًا، وشرقًا وغربًا، بل ربما كانت هذه النماذج الناقصة أكثر جاذبية بالنسبة لحامل القلم؛ لأنه يجد فيها مادة خصبة للمعالجة ومحاولة إخضاعها للعديد من العوامل والمؤثرات أو الأحداث، حتى تحقق من خلال نموها وتطورها بأسلوب مقنع ليصل إلى المثال المطلوب، أو القدوة المنشودة ؛ لأن مهمة الدعاة ليست قصرًا على النماذج الصالحة الطيبة وحمايتها من الانزلاق أو المروق فحسب، ولكن المهمة الأكبر تكمن فى استنقاذ الجانحين، وإصلاح المفسدين، وفتح باب الأمل أمام اليائسين أو المترددين، والأخذ بأيدى التائهين إلى طريق الحق والخير والجمال.

البطل فى العمل الأدبى الإسلامى هذا، وذاك لأن الخروج من المأزق بطولة، وكذلك التخلص من سلبيات السلوك، وهواجس الضعف، وإغراءات الحياة الزائفة، والانتقال من حال متردية إلى حال متسامية، والخروج من السلبية إلى الإيجابية، والتخلص من أدران الشك والخوف والتسيب، والقدرة على بدء حياة نقية جديدة. كل هذا يعتبر ضربًا من البطولة الجديرة بالإبراز والتمجيد ؛ لأنه يعنى انتصار الخير على الشر فى قلب الإنسان أولاً، وفى معترك الحياة ثانيًا، ومن هنا كانت التوبة التى أنعم الله بها على المسلم.

---

(١) المرجع السابق: ص ٥٠، ٥٥ ـ ٥٧ بتصرف.

والبطل فى الأدب الإسلامى ليس حكرًا على طبقة اجتماعية دون أخرى ، فالإسلام مجتمع متجانس ، أساس التفاضل فيه ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُم ﴾ [الحجرات: ١٣]، والتقوى ليست صلاة وصومًا ، وعبادة فحسب، ولكن جهاد فى سبيل الله، وكفاح من أجل لقمة العيش، ودأب على تحصيل العلم ، وبراعة فى الصناعة، وصدق فى القول والعمل، وتكافل اجتماعى وإبداع فكرى، وزراعةوتجارة، وقيادة وجندية ، وأمانة وعدل ووفاء ، وطهر ، ونقاء ، وبر وتسامح ، إنها ملتقى لكل القيم والمبادئ والآداب التى جاء بها الإسلام.

شخصية البطل إذن قد تكون « بلال بن رباح » العبد الحبشى ، وقد تكون « أبوبكر الصديق » خليفة المسلمين ، وقد تكون « سلمان الفارسى » أو« حمزة بن عبد المطلب » القرشى، وقد تكون« سمية » زوجة ياسر ، أو « رفيدة » أو غيرها من النساء ، وقد تكون فتى يافعًا ، أو شيخًا مسنًا .

الأدب الإسلامى الملتزم

يتردد فى بعض الأوساط الأدبية أن الأديب لا يمكن أن يبدع إلا إذا تحرر من كل الحدود ، والقيود التى تقتضيها قيم المجتمع وثوابته ،بحيث يكون المجال أمامة واسعًا للخوض فى كل القضايا الشائكة والمناطق المحرمة.

والأمر على هذا النحو لايخلو من التلبيس والخلط ؛ لأن هذا التصور يعنى أن «الإبداع» لا يجد له مجالاً إلا فى ظل ارتياد كافة الحواجز والموانع والعوائق دون تمييز بين الطيب والخبيث ،ودون التزام بتوجه ما ،وهذا زعم لا أساس له .

الفن قيد (١) :

إن الزعم بأن الأديب ـ وأى فنان سواه ـ لا ينتج بسخاء ما لم ترفع عنه كل القيود؛ فنية وغير فنية ،وإلا شاه جمال الفن ،فتلك مغالطة كبيرة.

ونحن مع إيماننا بأن الأديب يجب أن يكون حرًا طليقًا ،إلا أنه لابد أن تكون هناك مناطق تحريم ،ومناطق إباحة ،ثم نتساءل:كيف يكون وضع الأطر المناسبة فى الأدب قيدًا معوقًا ،مع أن الفن فى ذاته قيد ،فلابد من مراعاة أطر فضفاضة وحماية ضوابط معينة للفن من أن تنتهك حرماته.

الفن:هو الاقتدار على الضبط ، وإجادة التصرف والحركة فى أضيق المجالات والمساحات ،وأدق الأطر دون المساس بها أو خدشها أو تشويهها أو المروق منها .

الاقتدار على الحركة داخل هذا الإطار الضيق،هو المقياس الذى نفرق به بين الصادق والدعى،وبين الأصيل المتمكن ، والدخيل المتطفل،ولنضرب مثلين:

هل أبصرت يومًا قائد السيارة غير المجرب يرى الأرض الرحيبة والفضاء الفسيح أضيق عليه من سم الخياط؟وحين يجيد فن القيادة يمتلك زمام الأمر،فينسرب فى المكان كأنه الساحر العجيب !!..فى أى حالتيه هو فنان،وفى أيهما غير ناجح؟!

أرأيت الطفل الذى لم تنم قدراته ،أولم تُنَمِّ مهاراته ،تعطيه الصفحة الكاملة ليرسم فيها شجرة ،فيحتج بصغر المساحة ،تعطى عشر معشارها لفنان مقتدر ،فيعطيك فيها عالمًا متكاملاً يضج بالحياة ،وينضح بالفتنه والجمال، أى هذين هو الفنان؟!

---

(١) د.صالح آدم بيلو: مجلة الأدة ،عدد (٤٩) ،المحرم ١٤٠٠ هـ .

هذا هو الأمر تمامًا بالنسبة للأديب الذى يراعى قيم مجتمعه، فهو لا يجرحها أو يشوهها ، فإذا هو أبدع وأجاد دون المساس بهذه القيم وتشريبها كان الفنان الحق، والأديب المبدع ، ومن هنا قالوا : « الفنان الحقيقى هو الذى يمثل بفنه مُثُلهُ العليا، وينظر دائمًا إلى عالمه بالمقارنة مع مثاله وقيمه ومبادئه ».

وكذلك الأديب الحق والشاعر المقتدر هو الذى يبلغ أهدافه ، ولا يضيق بالقيد فى عمله الأدبى من أن يصير وعاءً يستوعب أفكاره ومشاعره.

الالتزام منهج وأسلوب (١) :

الالتزام ليس بدعًا فى كثير من الآداب العالمية ، حتى أولئك الذين يؤمنون بنظرية «الفن للفن» يعملون فى نطاق التزام معين يرتبط بوجهة نظرهم ، وكل مذهب فنى أو أدبى يتحرك فى إطار تصور معين ، ويلتزم شكلاً وموضوعًا بقيم خاصة ، يحرص عليها ويدافع عنها باستماتة، فالذين يزعمون رفض الالتزام لأنه قيد على حرية الأديب . ومناف للقيم الفنية والجمالية، يلتزمون ـ سواء شعروا واعترفوا أم لا ـ بقواعد ومبادئ ، الالتزام إذن منهج وأسلوب عمل وفق تصور معين.

وهناك يمكن أن تسميه الالتزام الداخلى أوالذاتى، وهو الوجه الآخر للصدق . فالتعبير عن النفس ، وما يعتمل فيها، والفكر وما يتفاعل فيه، والخيال وما يضطرم به، والروح وما ينبثق عنها ، كلها أمور خاصة ، قد تميز أديبًا عن آخر ، وتجعل من الإبداعات ـ شكلاً ومضمونًا ـ تجارب لها صفة الخصوصية.

لكن الجدل يدور عادة حول ما يمكن تسميته بـ«الالتزام الخارجى» إن صح التعبير، ففى كل مجتمع قيود أو نظم ، قد يرى بعضهم فيها غمطا لحقوق الإنسان ، أو كبتًا للحريات، أو جمودًا فى مجال التطور ، وهى على النقيض مما يتصور واضعوها ، والفنان يقف إزاء تلك النظم موقف التأييد ، أو الرفض.

ولكن ، ماذا يعنى الالتزام فى الأدب الإسلامى؟

الالتزام بمعناه الإسلامى الواسع هو «الطاعة» التى هى قناعة إيمانية ، وسلوك مطابق لحقيقة العقيدة ، الالتزام إذن عمل يبدأ بالنية الصادقة والعزم الذى يتزعزع ، إنه وئام بين الإنسان ونفسه، وبينه وبين الآخرين، وهو يضم تحت جناحيه قيم الحياة الإسلامية وقوانينها، وتصورات المؤمن لما يحيط به من كون وسنن، ويمتد ذلك التصور ليربط الحياة الدنيا بالآخرة ، ومرجع ذلك كله هو كتاب الله وسنه نبيه ﷺ.

---

(١) د. نجيب الكيلانى : مرجع سابق ، ص٧٥ ـ ٨٥ بتصرف

الالتزام هنا هو الطاعة، والطاعة تجد النور الذى يهدى، والغاية التى تتألق ، والوسيلة التى توصّل ، والبينات التى تقنع ، والتجربة التى تؤكد ، واليقين الذى ينداح سعادة كبرى بين الجوانح . . فهل هذا الالتزام داخلى أم خارجى؟

إنه هذا وذاك ، بل الأصح : إن التصور الإسلامى يجعل من الاثنين شيئًا واحدًا، إنه الكل فى واحد، فما فى نفس المؤمن وقلبه ، يضىء جنبات الحياة ، والالتزام ليس نقيض الحرية بمعناها الأصيل ، ففى الإسلام هناك ضوابط لم يخترعها فرد، وموازين لم ينصبها حاكم ، بل هى من صنع الخالق جل وعلا، روعيت فيها طبيعة الإنسان وإمكاناته وقدراته النفسية والعقلية والبدنية ، وهى فى جملتها وحى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم]، والمسلم خاضع لحساب الدنيا ، ولحساب الآخرة عند من لاتخفى عليه خافية فى الأرض ولافى السماء.

حرية المسلم مرتبطة بعقيدته، وبالمسؤولية الكبرى الملقاة على عاتقه، والالتزام فى هذا التصور لا يتضاد مع الحرية الأصلية ، فلا هى مفسدة له ، ولا هو معطل لها ، ألم نقل: إن الالتزام هو الطاعة ، والطاعة موقف ، وبالتالى فإن الحريه تصبح من أهم حقوق المؤمن، ورحم الله عمر رضي الله عنه إذ يقول: « كيف استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا » ، فالحرية دين وفطرة ، والالتزام فى فكر المؤمن وقلبه ليس نقيضا للحرية ، فكيف يكون الالتزام الإسلامى تقيضا للحرية ، وهى جزء منه ؟!

والالتزام ـ فى نطاق الحرية الإسلامية ـ لا يضع قيدًا على فكر، ولايعطل مسيرة أى جهد علمى، ولا يصادر إبداعًا فنيًا ، إنه تحرير للطاقات الإنسانية كى تؤدى دورها ، وتحقق ذاتها ، ولا يحد من طبيعة التفاعل الإنسانى الخلاق ، وإذا كان التفاعل الكيميائى ـ بلغة العلم ـ له اشتراطاته وضوابطه حتى يتم وينجلى عن مركب جديد ، فإن الحرية ـ إن صح التعبير ـ تحوطها اشتراطات وضوابط تجعلها تفعل فعلها على النحو الأمثل، فيتشكل الإنسان على هيئة كيان معبر عن قيم الحضارة الإسلامية، وبذلك يوصل الرسالة الخالدة بالصورة الصحيحة، دون تحريف أو تبديل، ومن ثم يقوم مجتمع متآخ متناغم ينطبق عليه قول الرسول ﷺ: « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

والأدب الإسلامى وسيلة لحمل هذه القيم، والتبشير بها بين البشر، يترنم بها فى قصيدة جميلة، أو يرويها فى قصة شيقة، أو يمزجها فى إطار مسرحية تشد الألباب والقلوب، وتؤثر فى النفوس، والالتزام بذلك جزء من طبيعة هذا الدين ، ومسؤولية من مسؤولياته الكبيرة الكثيرة ، وطريقة من طرائقه فى التواصل بين الإسلام، وبنى البشر قاطبة ، وذلك

لتزدهر براعم الحب والخير والفضيلة فى أنحاء الأرض ،ويتحقق المجتمع الأمثل،أو «المدينة الفاضلة» الحقيقية.

الالتزام الإسلامى درجتان:

بيد أن الالتزام الإسلامى له درجتان اثنتان،لا تقوم أولاهما ولا تكتمل وتعطى ثمرتها الموجوة إلا بوجود ثانيتهما ،وتنعدم الثانية هذه ، ما لم تقم وترتكز على الأولى وهما (١) :

الدرجة الأولى من الالتزام الإسلامى ،هى أن المبدع والأديب الملتزم إسلاميًا حين يبدع أدبًا وفنًا،يحرص ألا يتصادم فنه مع قيمه وقيم مجتمعه المسلم ،فهو من جانب لا يحقرها ولا يهون من شأنها ،ولا يسخر بها ، يعنى أنه يحترمها ويجلها ،ومن جانب آخر هو يتباعد عن أن يأتى عملاً فنيًا تخريبيًا يغرى بمقارفة الآثام والشرور،ويحرض على مقارنة الرذائل والفواحش، وإلا إن هو فعل ذلك ،عُدَّ من المفسدين فى الأرض .

إن المبدع المسلم حين يبدع ،يتباعد عن أن يكون مخربًا مفسدًا بأى من الصورتين السالفتين،فيمسك شره ،يتناءى عن الإفساد والإضلال،يكون فنانًا ملتزمًا دون ريب، وعمله هذا محمود مشكور على أية حال ، ولكن أى التزام،وما درجته ، وما مستواه؟

إنه التزام الحد الأدنى ، الالتزام السلبى غير الإيجابى،لأنه التزام الكف والامتناع ، وهو على أحسن الفروض «نصف التزام» إن صح التعبير.

أما الدرجة الأخرى من الالتزام الإسلامى،فهى الالتزام الأرفع والأسمى والأمثل، التزام الإيجاب الذى يحتاج إلى بذل الجهد والطاقة لإيجاد شىء وإتقانه وإحسانه، حيث لا يكتفى هذا الملتزم بمجانبة الفساد والإفساد والابتعاد عنهما ،ولكن يسعى للبناء والإنشاء والتعمير،وإتقان هذا البناء وتحسينه.

نريد بذلك أن الأديب المبدع الملتزم إسلاميًا ، لا يقف بأعماله الفنية عند حد الامتناع عن عمليات التخريب العقدى والأخلاقى ، ولكن عليه أن يخطو خطوة أخرى إلى الأمام، فيوظف أدبه وفنه توظيفًا فنيًا لبناء مجتمعه بقيمه الدينية والخلقية،ويرسخ فيه قيم الإيمان والنظافة والطهر والجمال ، ويقاوم فيه الشر والفساد والقبح وكل ما يتصادم مع معطيات مجتمع الخير والفضيلة والجمال ، مجتمع الإسلام وما يشوّه وجهه السمح الجميل.

وبهذا نرى أن الالتزام الإسلامى ،التزامان: التزام سلبى ، وآخر إيجابى ،أو

---

(١) د.صالح آدم بيلو: مجلة الأدب الإسلامى ،العدد الثانى ،ص٢١ ، ٢٢ بتصرف.

قُل: هو التزام ذو وجهين : وجه فى الجانب الأدنى ،وآخر فى الجانب الأعلى ، والعُملة لا تكون صالحة للتداول ما لم يكن لها وجهان صحيحان ، وإلا فهى عملة زائفة لا تجد قبولاً ولا رواجًا ،و مآلها الطرح والنبذ بعيدًا ، هذا إذا لم يُحَلْ المتعامل بها إلى ساحات القضاء .

obeikandl.com

الأدب المرفوض

نعنى بالأدب المرفوض: تلك الأعمال الأدبية بصورها المختلفة من رواية وقصة وأقصوصة ومسرحية وشعر،التى تتناول قضية اجتماعية أو أخلاقية أو دينية من منظور غير إسلامى،أو يتعارض مع المنهج الإسلامى فى الإنسان والكون والحياة ،دون تقدير للضوابط والحدود القائمة بين الحلال والحرام ،وبين الفضيلة والرذيلة ،وبين الزواج والبغاء ،وبين العفة والإباحية ،وبين حرية الإبداع والخوض فى المسلَّمات والمقدسات.

وسوف نعرض فى السطور التالية لنموذجين من «الأدب المرفوض»،أولها ذلك الأدب الذى يسىء لمشاعر المسلمين بالنسبة لمعتقداتهم وموروثاتهم،وثانيهما ذلك الأدب الذى يمكن أن نطلق عليه «أدب الفراش» حيث يتناول قضايا المرأة فى المجتمع الإسلامى تناولاً إباحيًا ، لا أخلاقيا ، ثم نعرض لنهج الإسلام فى معالجة هذه القضايا الشائكة من خلال نموذج أدبى نظيف.

أدب الرمز واحتقار الأديان :

دأب بعض المنتسبين إلى الحركة الأدبية على الإساءة لمشاعر المسلمين ، وثوابت عقيدتهم والطعن فى اليقينيات والمسلمات من خلال إنتاجهم الأدبى من خلال الرمز أحيانًا ، وبالتصريح الفج أحيانًا أخرى ، وكل ذلك بدعوى الحداثة وحرية الفكر والإبداع.

ويبدو فساد عقيدة «كبيرهم» نجيب محفوظ،وشطحات مفاهيمه فى الألوهية من خلال روايته المشهورة «أولاد حارتنا» التى تقوم على السخرية والاستهزاء بالأنبياء والرسل والملائكة والدار الآخرة،بل والتشكيك فى وجود الله ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا ۝٥﴾ [الكهف] ، وقد استقبل المستشرقون ودعاة التغريب والكارهون للإسلام هذه «الرواية الملحدة » بأسمى مظاهرالتقدير والإعجاب، وكتبوا عنها البحوث الضافية ،ورفعوا صاحبها إلى الثريا ،بل منحوه عنها جائزة «نوبل» فى الآداب.

وقد حاول نجيب محفوظ أن يقول فى هذه القصة بالرمز كل ما عجز عن قوله صراحة عن مفهوم مادى زائف ، وعقيدة مضطربة ،ونحن لانستغرب هذا الفهم من نجيب محفوظ الذى هو فى الأساس من تلاميذ سلامة موسى الذى دربه على الفكر المادى وأعده ليكون واحدًا من المدرسة التغريبية،وغرس فيه مفهوم احتقار الأديان

والقيم والاندفاع نحو الفرعونية ثم الماركسية، ثم نحو معارضة كل القيم الأساسية لهذه الأمة فى عشرات المواضع من كتاباته وقصصه، وفى استعلاء طابع الجنس على كتاباته ورواياته ، واستهانته بكل القيم والمقدسات ، وقد احتفلت «أهرام هيكل » برواية أولاد حارتنا وظنوا أنها يمكن أن تمر على الناس بسهولة، فلما اكتشف الناس رموزها وعرفوا أنها تهدف إلى الانتقاص من ذات الله تبارك وتعالى عما يقولون علوًا كبيرًا علت صيحاتهم ، فأرقفت الرواية ومُنع نشرها، ثم نشرت فى بيروت، وبعد حصول مؤلفها على جائزة نوبل نشرتها صحيفتا الأهالى، والمساء كاملة ، مخالفة قرار مصادرة الأزهر لها، بل وبلا إذن من المؤلف، وليست « شخصيات » القصة رموزًا ، بل هى تحوير لغوى لاغير لأسماء الأنبياء موسى وعيسى ومحمد، ويقال: إن القصة مشاركة من نجيب محفوظ فى ذلك الحوار الواسع الذى جرى على المنابر المصرية بتوجيه من جهات مسؤولة لتحديد اختبارات فكرية واضحة ، ولعل ذلك فى الوقت الذى كانت تجرى فيه المحاولة بواسطة مراكز القوى على إقناع منظمات الشباب بقبول العقيدة المادية وإنكار وجود الله، واحتقار الأديان، فكان نجيب محفوظ أداة طيعة فى هذا الاتجاه [1] .

وهذا نموذج آخر : يوسف السباعى ، الذى جعل من السخرية طابع كتاباته ، فهو يسخر من كل شىء، حتى من القيم المقدسة ، وآية ذلك روايته «نائب عزرائيل » ، وتدهش حين تراه يوجه كلا من الملك المكرم سيدنا عزرائيل ملك الموت، فيقول: «ستلمس لى العذر إذا علمت أنى رجل أحب المزاح (!!) ، أو أننى أرى أن المرء لا يربح فى حياته إلا ساعات الضحك (!!) ، وإذا علمت أيضًا أن الإنسان بطبيعته مخلوق مهرج، إنه لايغريه شىء كالغزل والتهريج(!!) ، وأنك إذا ما أردت منه أن يستمع إليك فاضحك أولاً ثم قل له ما تريد قوله (!!)، لا تظن بقولى هذا تزلفًا فالتزلف لا يكون إلا لخشية أو حاجة، وما كان بى من خشية منك ، ولا حاجة إليك (!!)».

بهذه اللغة الرديئة يتحدث مثل يوسف السباعى إلى الملك المكرم ، ملك الموت، الذى يقبض أرواح البشر، وكيف يتصور يوسف السباعى أنه يستطيع أن يصور هذا الملك الكريم على حقيقته من رواية هزلية وسخريات خليعة ، إن جهله بمفهوم الموت فى الإسلام ، وموقف الإسلام من الملائكة هو الذى أورده هذا المورد الخطير، فهو يحاول أن يصور أمر الموت على أنه خبط عشواء، «وأن مع «عزرائيل» قائمة، وأن فيها طبيبًا يموت قبل مريضه، وعروسًا قبل زواجها ، بينما يجد الشحاذ الضرير لايزال حيًا بلا خوف».

والواقع أن حكمة ذلك كله لها مفهوم فى تقدير الله تبارك وتعالى لا يصل إليه

---

(١) أنور الجندى : الصحافة والأقلام المسمومة ، دار الاعتصام ، ص١٩٤ ، ١٩٥ .

السباعى إلا إذا فهم حكمة الخلق والوجود والموت، أما سيدنا عزرائيل، فإنه ملك مكلف من قبل ربه عز وجل ، وما هكذا يتناول الكتاب والقصاص مثل هذه الأمور [١].

أدب الفراش :

حاول أدباء الإباحية والانحلال كسر الحواجز الطبيعية والخلقية بين الرجل والمرأة بتصوير الخيانة الزوجية على أنها شيء لا غبار عليه ، ولا أهمية له، وهو فى الأخلاق الإسلامية عمل شائن وخطير، ومن هنا كانت دعوة «أدباء» التغريب بالبعد عن التعصب فى مثل هذه الأمور، وهى دعوى ماسونية، وذلك أن القصة الغربية تصور أن زلة الزوجة وخيانتها تنتهى بصفح أو عقوبة ضمير، وهذا مختلف عن موقف المسلم اختلافًا واضحًا عميقًا، فالمسلم والعربى قد يصل به الأمر إلى الانتقام والقتل .

إن كُتاب الجنس والغرف المقفلة ، وأدب الفراش يصورون المرأة على أنها أداة للجنس والشهوة ، وأنها تجرى وراء أهوائها، وأن علاقتها بالرجل هى علاقة المطاردة والإغواء والإسقاط بالخداع فى براثن الانهيار، حتى إذا قضى منها مأربه انصرف عنها إلى غيرها، ولم يقدم أدب الفراش قصة ذات هدف كريم أو على غير قاعدة الجنس، وقد ترددت كلمة «الحب» على ألسنة الكتاب والشعراء والقصاصين على نحو أزرى بهذه اللفظة ومرَّغها فى الوحل، وجعل منها عبارة مبتذلة لا تدل إلا على أحط ما يثور فى الإنسان من نزعة الجنس .

وقد صور حامد بدر [٢] الآثار الخطيرة المترتبة على استشراء القصة الإباحية، فقال: إنها تملأ فراغ المراهق بالأفكار الملوثة، وتسكب فى غريزته الظامئة ما يزيده ، للانحراف ظمأ، ويوجه طاقته أسوأ توجيه، فلماذا ننفث فى وعى الناشئين والناشئات سمومًا من القصة المبتذلة المتبرجة ؟ إن المداد الذى يكتب به الكاتب ، إنما هو دواء شاف أو سم زُعاف، وإن السم الذى يدسه بعض محترفى الأدب فيها يسمى بالقصص الواقعى لهو أشد السموم خطرًا وفتكًا، وتاجر القصة المنحدرة مثل بائع الحلوى المتجول الذى لا يحصل على الربح إلا من أيدى ضحايا أبرياء فى الحارات والأزقة، لا يفتحون عيونهم ليروا الأتربة والذباب عندما يفتحون أفواههم لالتهام الحلوى المكشوفة الملوثة .

فكاتب القصة المكشوفة إنما يستثير غرائز قارئه السطحى، وينحدر به متملقًا غريزته الهائجة ليضعف أمامها ، ويطيح فى سبيلها بكل القيم .

تلك السموم التى تدخل بيوتنا فى قصص وروايات فيقرؤها أبناؤنا وبناتنا على أنها أدب، وتدخل السينما صورًا متبرجة عارية فيشاهدها أبناؤنا على أنها ترفيه وتسلية، وهى

(١ ، ٢) أنور الجندى : مرجع سابق ، دار الاعتصام ، ص١٨٠ ، ١٨٧ .

الوباء الذى تصعب الوقاية منه، والذى يسحق قوانا المعنوية سحقًا بلا رحمة، ويهدم كياننا من حيث لا ندرى، إن الطاقة الهادمة تتجه إلى «الانحطاط» وتستسهله وتمضى فيه. ولاسيما إذا وجدت تغاضيًا وتهاونًا، بل تشجيعًا ورعاية، عكس الطاقة البانية التى تتجه دائمًا نحو «الصعود».

وإذا نحن راجعنا قصص أحد كبار أدب الإباحية ـ إحسان عبد القدوس ـ لن نجد تحليلاً لمشاعر المرأة، بل مجرد تصوير جنسى صارخ أشبه بصيحات مراهق محروم، ونماذج المرأة فى قصصه لا تعطى أبدًا صورة المجتمع الإسلامى العربى المصرى، فالبطلة فى «النظارة السوداء» من سلالة أجنبية، وفى « راقصة فى إجازة » نموذج لراقصة أجنبية حلت بمصر، وهناك فتاة نشأت شاذة منحرفة، وامرأة خلابة لعوب.

يقول أحمد حسين الطماوى[1] : من يتأمل معظم قصص إحسان التى أدارها على ألسنة أبطاله يجدها محركة لغرائز المراهقين، مما يجعل شهواتهم تتراكض مستشرية فى نفوسهم، والصور الوصفية التى يعرضها لا يمكن أن تكون تصويرًا اجتماعيًا، فمثلاً فى «أنا حرة» يصف أمنية: «وقد ألقت بجسدها فوق جسد شاب، وتركت خصلات شعرها تدغدغ وجهه، وتملأ أنفه بعبير أنوثتها، ثم أحست بكفه تترك فوق ظهرها وتتردد بين كتفيها كأنه كف أعمى يبحث عن باب الدخول».

وفى«الطريق المسدود» يقول: «قررت أن تكون سافلة ومنحطة، وأخلاقها زفت علشان الطريق ينفتح قدامها»، فهل هذه الأوصاف تعبر عن الحياة الاجتماعية ، وهل من الحكمة أن يكون الانحلال واستطلاع أخبار البغاء ورصد الشذوذ هى أفضل الموضوعات لدراسة المجتمع؟! إننا لا نطلب من الكاتب أن يلغى مفعول الغرائز، ولكنه يجب أن يعمل على تهذيبها ويعبر عنها بطريقة لا ينفعل القارئ بها انفعالا شهوانيا ، كذلك فإن تصويره للشخصيات فيه مغالطة كبيرة ،وافتراء على الواقع ، فالأم فى قصة أنف وثلاث عيون تأخذ بيد ابنتها لتسلمها للضياع ، وتساوم الرجال عليها وكأنها قوادة، وهذا أبشع تصوير للأم ، والطبيب يدمن المخدرات ويقنع الناس بفائدتها وكأنها «روشنة» منه للمريض لكى (يروق دماغه) ،والزوجة حين تختلى بزوجها تتحمله فوق صدرها ، وهى تحسب الثوانى ليقوم عنها ، وذلك فى قصة «أين عمرى».

هذه هى شخوص إحسان عبد القدوس، وهى شخصيات منحرفة، ولا يمكن بحال أن تعبر عن القاعدة العريضة للمجتمع الإسلامى وأخلاقياته وقيمه .

---

(١) نور الجندى : مرجع سابق . دار الاعتصام ، ص ١٩٩ .

الفاحشة في الأدب الإسلامي :

إن طريقة عرض قضايا المرأة وأخبار الجنس في الأدب الإباحي، هي في نهاية المطاف دعوة إلى إشاعة الفاحشة والانحلال، وتدريب الناس على فنونها، بيد أن الله تعالى حذر كل من يقوم بذلك، بقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النور] ، ﴿ قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ﴾ [الأعراف: ٢٨] ، ﴿ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأنعام: ١٥١]، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

والقصص القرآني الكريم، وهو يعرض قصص «الفاحشة» لا يعرضها لإثارة تلذذ القارئ أو السامع بمشاعر الجنس المختلفة الانحراف والمشارب، كما يفعل أصحاب القصص في العصر الحديث، فلحظة الجنس لا تستحق التوقف عندها، فهي ليست الحياة وإنما وسيلة من وسائل الحياة ، إنه عارض وينتهي فاسحًا المجال للتصور الإيماني الكبير للكون والحياة الإنسانية ، فالقصة هنا تدعو لإقامة مجتمع نظيف مبرأ من العلل ، دون فتنة أو انحراف ، فالتفنن في عرض لحظة الجنس إسراف في المقادير بالنسبة لما يلزم للحياة البشرية ، وتحويل للوسيلة حتى تصبح غاية (١).

تلك قاعدة مرعية في كل قصص القرآن عن «الفاحشة» وهي كذلك ينبغي أن تكون مرعية في كل القصص الإسلامي، إن الإسلام لا يحرم وصف المشاعر الجنسية، نظيفة كانت أو غير نظيفة، ولا يحرم وصف لحظة الهبوط والضعف ، ولكنه يعرضها كما ينبغي أن تعرض ، لحظة ضعف لا لحظة بطولة، ولحظة عابرة يفيق منها الإنسان إلى ترفعه الواجب، ولا يظل دائرًا في حلقتها المرتكسة على الدوام (٢).

فالإسلام لا يغفل العاطفة والرغبات الغريزية لدى الإنسان ، لكن ما ينبغي صنعه في النموذج الأدبي، ألا تشغل هذه الغرائز الحيز الأكبر في فن اللوحة الطبيعية لهذا الإنسان، فالأدب الإسلامي، والأديب المسلم كذلك لا يهملان العاطفة ولا لحظات الضعف، أو على الأقل ألا يمجد هذا الضعف أو السقوط أو تلغي مشاهد الرغبة والعاطفة على المشاهد العظيمة في حياة هذا الإنسان ، ولكن تصور هذه الأشياء على أنها ضعف، ومنافذ للشيطان، يهتف به الأديب للارتفاع عن هذا الضعف أو السقوط ؛ لأن الأدب الإسلامي أدب الاستعلاء والرفعة بهذا الإنسان، وأدب التطوير لهذه الحياة، أدب

---

(١) محمد قطب عبد العال : مرجع سابق ١/ ٧٨ ، ٧٩.

(٢) محمد قطب : منهج الفن الإسلامي ، دار الشروق ، ص ١٦١ ، ١٦٢.

الحياة ، تلك مهمة الأدب الإسلامى ؛والارتقاء والإصلاح والتطوير،فالإنسان وإن كان غاية العمل الأدبى إلا أنه ليس كل هذه الغايات،فلقد أخطأ الذين تصوروه كذلك،ولكن هذه الغاية (حتمًا ستصل بالإنسان من الإحساس بالضياع أو البعث الذهنية التى هى فى قمتها سكينة وأمن،يخلص الإنسان الإحساس بالضياع أو العبث لأنها غاية قائمة على الحكمة) (١) .

وهذا الاتجاه الذى أشرنا إليه،هو الذى اقتفاه القرآن الكريم فى عرض المواقف الشائكة عن طريق العبارات العفيفة والألفاظ السامية،كما نجد فى قصة يوسف عليه السلام. قال تعالى: ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾ [يوسف:٢٣]، ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ﴾ [يوسف:٢٤] ، ﴿ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥) قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ﴾ [يوسف] .

ومثل هذه الطريقة نجدها أيضًا فى قصة لوط عليه السلام التى نتعرض لموقف اللواط،وهو موضوع شديد الفحش،ولكن الفن الرفيع فى القرآن الكريم استطاع تناول هذا الموضوع بلفظ رفيع كريم يفيض بالعفة والسمو: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٤) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (٥٥) ﴾ [النمل]،كما يقول تعالى : ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ (٢٨) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ﴾ [العنكبوت].

فالقصة القرآنية أو النبوية لا تتجه إلى وصف المشاعر الجنسية المشبوبة التى ربما سيطرت على الإنسان فى مثل تلك اللحظات،كما أنها تهمل أيضًا وصف محاسن المرأة،وتصوير مفاتنها،وما فيها من إغراء يثير التلذذ.

كما أن منهج القصة فى تناول مثل هذه الموضوعات،من عدم الوقوف الطويل عند مواقف الضعف والهبوط،إنه يمر بها سريعًا ولا يركز عليها أو يسلط عليها الأضواء ؛ لأنها لا تستحق ذلك،فهى ليست سوى عارض لا يلبث الإنسان أن يفيق منه.

وقد استطاعت الرواية ذات الطرح الإسلامى أن ترسم صورة متكاملة عن المرأة،وأن تجسد عبر تقنيات السرد والوصف والحدث مختلف الأوضاع الفكرية والسلوكية للمرأة المعاصرة،وتمثل «بدرية» فى رواية «ليالى السهاد» للأديب الطبيب نجيب الكيلانى صورة المرأة المسلمة التى واجهت مشكلات جسيمة،تمثلت فى اعتقال زوجها

(١) د.محمد حمدون : نحو نظرية للأدب الإسلامى ، دار المنهل ، الطبعة الأولى ١٩٨٦م ، نقلاً عن مجلة الوعى الإسلامى ،عدد (٣٥٢) ،شعبان ١٤١٥ هـ ،ص٤٣.

«عبد القادر» بتهمة الانتماء للحركة الإسلامية ، وارتسم بين يديها طريقان :طريق السقوط والانحراف،وطريق الصمود والثبات،فاختارت الطريق الثانى ، وتمكنت من الحصول على عمل شريف لتعول به نفسها وطفلتها « هدى » ،ولم يقتصر صمودها على هذا المستوى ، بل عبرت عن حالة رفيعة من الصبر والثبات ، وهى ترى زوجها ـ بعد الإفراج عنه الذى حقق نجاحًا باهرًا فى عمله يستسلم لضعفه ، فيتزوج «صافى » نموذج المرأة المتحررة من رقابة الأخلاق والضمير ، الغارقة فى عالم الفن الساقط: «صافى ، لعلها الباب الذى يدخل منه التائبون والنادمون إلى الدنيا الجديدة ؛ حيث المرح والسرور ، والشطرنج والكؤوس ، وعرض أفلام،والبذخ،والغناء،والاختلاط،والمؤانسة،والحب. . .»،وبالرغم من وخز هذه المعاناة ، كانت تتسلح بالمقاومة النفسية،وتتقرب من زوجها لتمسح عنه آلام ضعفه ومعاناته. .إلى أن انتصرت، وكُللت جهودها بالنجاح،حيث يستيقظ «عبد القادر» من غفلته فيطلّق زوجته الثانية «صافى» لأنها لا تمت بصلة إلى عالمه الفكرى والسلوكى المؤسس على صفات الالتزام ومبادئ الأخلاق ، ونستطيع القول:إن الكيلانى برصده للملامح الداخلية والخارجية لشخصية «بدرية» و«صافى» يكون قد أقام علاقة انفصالية بين عالمين متباينين:عالم المرأة الملتزمة،وعالم المرأة المتحررة التى تحولت إلى رقم جديد فى عالم الدعارة والجاسوسية [1].

فهذا نموذج مضىء من نماذج الأدب الإسلامى،وهى قادرة على أن تمثل منطلقات تطبيقية للمنهج الإسلامى الأمثل فى معالجة هذه الموضوعات الحساسة،وإبراز الصورة الحقيقية للمرأة فى المجتمع الإسلامى،وهذه الطريقة الحكيمة فى معالجة مثل هذه القضايا لن تؤتى ثمارها المرجوة إلا إذا جاءت فى إطار جهود جماعية وتبنتها جهات مؤثرة.

(١) د. صالح آدم بيلو : مجلة الأدب الإسلامى ، العدد الثانى، ص ٣٨.

الأدب واللغة

كانت هناك ـ وما زالت ـ حرب ضروس ضد اللغة العربية، أداة التعبير ووسيلته، عن طريق التشكيك فى صلاحيتها للعصر، واستيعاب المدنية الحديثة، وفى هذا السياق نشأت دعوات خبيثة لتغيير بنية اللغة، واستخدام اللهجات العامية فى التعبير الأدبى والكتابة والإعلام، والهدف من وراء المواجهة مع اللغة هو إبعاد المسلم ـ وخاصة الأديب ـ عن القرآن الكريم، معجزة الإسلام الخالدة، ورمز البيان المعجز فى أمة اشتهرت بالبلاغة والفصاحة، وبالتالى إبعاد الأديب المسلم والمسلمين عن الإسلام.

ويبدو أن بعض الأدباء قد توسع فى استخدام العامية، فأخذ يكتب معبرًا عن نفسه شعرًا ونثرًا، معتقدًا أنه لا يستطيع أن يوصّل ما فى نفسه لغيره إلا بهذه اللهجة، وأنه بذلك يعبر عن فئة كبيرة من الناس.

ومن غير الجائز أن نترك هذه اللهجة فى نمو مطرد؛ لأن فى ذلك خطرًا على لغة القرآن، كما أن فى تعزيز اللهجة العامية أقوى وسيلة لتفتيت كيان هذه الأمة، وقد أدرك أعداء الأمة العربية هذا الأمر، فبادروا إلى الدعوة لاصطناع اللهجة العامية معتمدين على امتزاجها بالحياة اليومية، وإذا كانت اللهجة العامية فى كل عصر خطرًا على الفصحى، فهى أعظم خطرًا فى عصرنا هذا، لما للتلفاز والإذاعة والصحافة وفضلاً عن القنوات الفضائية من تأثير قوى على الناس، إذ إنها تلقانا فى الصباح وفى المساء.

والأدب العربى والإسلامى يعانى خلال العقود القليلة الأخيرة من شيوع العامية التى روج لها دعاة التغريب، فخرج لنا أدباء يفكرون بعقل الغرب، وينظرون بعين الغرب، يتفاعلون بمشاعر الغرب

وقد كان يوسف السباعى لا يجيد الكتابة بالفصحى إلا بصعوبة، ويفضل عليها العامية، ويتحدى فى وقاحة شديدة ويسخر من الفصحى، ومن سلامة الكتابة على أصول اللغة، وقد هوجمت قصص يوسف السباعى (وخاصة إنى راحلة) لأنها بالعامية.

ولا يبالى يوسف السباعى أن يقول: « إنى لا أهتم مطلقًا بمبادئ اللغة وأعتبر أن أسلوبى (كويس كده) وليس فى حاجة إلى المحسنات اللفظية، والواقع أن لغتنا العربية سخيفة، وفيها (حاجات مش معقولة) واحد مجنون مثلا قال لنا: « خلى الكلمة دى تبقى كده » وخلاص وهى عملية مجهدة لا معنى لها ولا نهتم بها الآن أو يحافظ عليها

المصححون فى الجرائد ، وأنا على كل حال أعتبر اللغة وسيلة وليست غاية ». .إن مثل هذا الهراء لو وضع موضع النقد الحقيقى لكان حفيًا بأن يطرد كاتبه من ساحة الكتابة الأدبية، ونأسف لأن جريدة تنشر مثل هذا الكلام «المساء» (١).

(١) أنور الجندى : مرجع سابق ، ص ١٨٥ .

obeikandl.com

الأدب الإسلامى وأثره فى الأدب الغربى [1]

إن ذيوع وانتشار ما أخذ الغرب عنا فى مجال العلوم التجريبية، غطى على ما أخذه الغرب من آدابنا التى ازدهرت فى ظل قيم الإسلام، واتخذت من التصور الإسلامى للحياة جوهرًا لها لتجول فى كل القضايا.

ونشير إلى أن الأدب الفارسى، والتركى، وغيرهما من الآداب التى نمت فى ظل الإسلام، تدخل فى مفهوم الآداب الإسلامية، ولكن حبذا لو ترجمت إلى العربية فيتوحد الإطار الفنى لهذه الآداب.

ولقد كان تأثير الآداب الإسلامية فى الآداب الأوربية أمرًا ينكره المتعصبون، ولكن المنصفين من الغرب والشرق يعترفون الآن بما لحضارة الإسلام وآدابه من أثر فى نهضة العالم الفكرية، حيث انتقلت الآداب الإسلامية إلى أوربا عبر الدردنيل والأندلس وصقلية، وهذه من أهم معابر اتصال الآداب الإسلامية بالفكر الغربى، حيث استمر حكم المسلمين للأندلس زهاء ثمانية قرون، أضاءت فيها مشاعل المسلمين مختلف جوانب الحياة الفكرية، والأدب فى مقدمتها.

وحين كانت أوربا ترزح تحت نير الجهل والفساد، كان المسلمون الأسبان قد أقاموا حضارة زاهرة، وحياة فكرية منظمة، وقد أدت إسبانيا الإسلامية دورًا مهمًا فى تطوير الفن والعلم والفلسفة والشعر، واتسعت دائرة تأثيرها حتى تجلّى هذا التأثير فى أرفع أعلام الفكر النصرانى فى القرن (٧هـ ـ١٣م)، أى عند توما الإكوينى ، ودانتى، وكانت إسبانيا آنئذ مشعل النور فى أوربا.

ويعتبر عصر الإمبراطور «فريدرك الثانى» ملك صقلية فى القرن (٧هـ ـ١٣م) قمه التأثير العربى الإسلامى فى صقلية، حيث نشأت فى بلاطه مدرسة الشعر الصقلية التى أسهمت فى وضع أسس الأدب الإيطالى الحديث، كما يقول المستشرق «جب» الذى يؤكد أن الشعراء النصارى كانوا يحتذون حذو الشعراء المسلمين، وقد أسس هذا الملك جامعة «نابولى» سنة ١٢٢٤م لنقل الفكر والعلم العربى إلى العالم الغربى، وأثناء الحروب الصليبية تم نقل كثير من العلوم والفنون والآداب والمخطوطات التى توجد حاليا فى

(١) د. سعد أبو الرضا : مجلة الأمة ، عدد (٤٩) ،المحرم ١٤٠٥ هـ ،ص ٢٦ـ٣٠ بتصرف.

كبريات مكتبات ومتاحف أوربا.

وهكذا يشهد الفكر الأوربى فى القرن ١٧م ـ قرن النهضة الأوربية ـ الأثر الجلى الواضح لآداب المسلمين وفكرهم ، وكلما اتسعت حرية الفكر، وازدهرت الدراسات المقارنة ، كلما تكشفت الأمور عن أثر جديد لآدابنا الإسلامية فى آداب الغرب؛لذلك نجد هذا القرن حافلاً بالكثير مما اكتشف فى هذا المجال ، مثل:

الإسلام والكوميديا الإلهية: لميجويل آثين بلاثيوس، هذا المؤلَّف الذى طبعت ترجمته الإنجليزية فى لندن ١٩١٩م ،وقد أشار فى مقدمته إلى ما انتقل إلى إسبانيا من تراث الإسلام الفكرى والروحى والأدبى ،ثم عرض للمصادر الإسلامية التى أثرت فى الكوميديا الإلهية لدانتى ،ومنها المعراج ورسالة الغفران.

تراث الإسلام: «ألفريد جيوم وآخرين» ثلاثة أجزاء، حيث ذكر أثر آداب الإسلام فى مختلف آداب الغرب، وقد ترجمته لجنة الجامعيين لنشر العلم بالقاهرة سنة ١٩٣٦م ،ثم قامت سلسلة عالم المعرفة الصادرة فى الكويت بنشره منذ عام ١٩٧٨م.

وفى الشعر: كان للآداب الإسلامية أثر كبير على الشعر الأوربى، حيث إن تقاليد جانب كثير من شعر «التروبادور» الذى كان شائعًا فى مقاطعة «بروفانس» جنوبى فرنسا كانت تناظر تقاليد الشعر العربى الإسلامى فى مجتمع الأندلس، لا سيما من حيث القافية والوزن العربى الذى سارت عليه الموشحات، ويقول «جوستاف فون جرنبا وم» :«والحق أن الشعر البروفانسى يكاد يكون شرقيًا عربيًا من جميع الوجوه، خاصة من حيث الشكل والموضوع، مع ملاحظة أن الطرز الأصيلة لجميع أنواع الأناشيد التى ألفها التروبا دور كانت موجودة فى شعر العرب الأندلسيين».

وكان للشعر الفارسى، خاصة «سعدى و حافظ» الشيرازيين أثر فى «جوته» الألمانى فى ديوانه«الشرق والغرب»وكذلك الشاعر الألمانى «بلاتن» فى مجموعته «مرآة حافظ»، وقد قام المستشرق الألمانى «فيتزجرالد» بترجمة رباعيات الخيام.

ومن القصص الإسلامية الى أثرت فى آداب الغرب، قصة «حى بن يقظان» للأديب الطبيب الفيلسوف «ابن طفيل الأندلسى» فى القرن (٦هـ ـ١٣م) ، حيث تُرجمت للعبرية فى القرن(٨هـ ـ١٤م)وإلى اللاتينية فى القرن (١١هـ ـ١٧م) ، وترجمت من اللاتينية تحت عنوان : الفيلسوف المعلم نفسه إلى الإنجليزية ، وقد تأثر بها الكاتب الإسبانى«بلتاسار جراثيان»فى قصته «النقاد» كما يرى بعض المفكرين أن «دانييل ديفو» تأثر فى قصته «روبنسون كروز»بقصة ابن الطفيل ، لاسيما وقد انتهى بطلا القصتين إلى معرفة الله تعالى والاهتداء إليه ، وإدراك هيمنته على الكون ، وترجمت

«حى بن يقظان» الفرنسية والروسية فى مطالع القرن١٤هـ ، ولا يخفى مالـ «ألف ليلة وليلة» و«كليلة ودمنة» و«مقامات الهمذانى والحريرى» من تأثير فى الآداب الأوربية

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

وقف المستشار الدكتور محمد شوقي الفنجري

لصالح جائزة

خدمة الدعوة والفقه الإسلامي

شهادة

تشهد لجنة الجائزة المشكلة بموجب حجة الوقف رقم ٣٥٦٠ لسنة ١٩٩٥ توثيق الجيزة برئاسة المستشار رئيس هيئة قضايا الدولة وعضوية مفتي جمهورية مصر العربية وأمين عام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وأستاذين جامعيين

بأن السيد / الأستاذ / خالد محمد الدوسوي

قد فاز بجائزة عام ١٩٩٧ عن بحثه في موضوع:

الإسلام والفنون

والله ولي التوفيق

يونيو ١٩٩٧

رئيس اللجنة وناظر الوقف

المستشار رئيس هيئة قضايا الدولة